عادات وتقاليد البـــدو

(دراسة وصفية)

دكتور

غريب عبد السميع غريب

استاذ الأجتماع المساعد

كلية الخدمة الاجتماعية ... جامعة حلوان

مقدمـــة الدراسة :

العادات والتقاليد فى أى مجتمع من المجتمعات خاصة المجتمع البدوى لاشك أنها تلعب دورا كبيرا فى تسيير الحياة الاجتماعية به ، فهي تشكل لب وجوهر السنن الاجتماعية ، كما أنها تمثل نماذج الأفعال والسلوك البشرى فى هذه المجتمعات .

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل تجمد وتثبت هذه العادات والتقاليد ولا تتحول ونلا تتغير برغم التحول السريع وطبيعة الوقت المعاصر أم أنها تساير العصر وتخضع لتأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها وبالتالى تتغير وتتحول بنفس الايقاع السريع . ذلك هو السؤال الذى دفع الباحث الى اجراء دراسته هذه والتى طبقها على عينة من المناطق البدوية باحدى البلاد العربية وهى المملكة العربية السعودية من خنلال عينة من الاخبارين المثقفين المنتمين الى احدى جامعتها وهى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية أثناء العام الجامعى ١٤١٣-١٤١٤هـ.

ولقد تكونت محتويات هذه الدراسة من مبحثين : -

المبحث الأول : -

ويشتمل على الاطار النظرى للدراسة والذى احتوى بالتالى على بعض الأطر النظرية المرتبطة بالثقافة والتغير الثقافى ثم عينة من المفهومات المستخدمة بالدراسة ثم ثلاثة من الدراسات السابقة بينها دراسة رائدة .

المبحث الثانى : -

واشتمل على الدراسة الميدانية وكذلك أهم النتائج والاستخلاصات والتعليقات التى قام بها الباحث ومن الجدير بالملاحظة أن هذه العادات التقاليد البدوية سارت بين خطين متوازيين أحدهما يمثل الأصالة والتمسك بالجذور الأخلاقية - الدينية والانسانية والثانى يمثل قمة التقدم والحضارية والتمشى مع مستلزمات العصر وتكنولوچيا الوقت الحاضر.

المبحث الأول

الإطار النظرى للدراسة
مفهومات ودراسات

مقدمـــة :

اذا كان ريدفيلد Ridfield قد خلص من دراسته للمجتمعات القروية فى أمريكا الوسطى الى فكرة النموذج Type التى يمكن أن تفسر بها عملية التطور الحضارى ، وتعرف هذه النظرية باسم الاستمرار من البدائى للمدنية Folk. urban continum نموذجا للحياة البسيطة البدائية التى نجدها فى القبائل والعشائر والقرى الصغيرة، واتخذت من ذلك النموذج البدائى نقطة تبدأ منها عملية تطور الحضارات والمجتمعات الانسانية ، وتصور النظرية كذلك وجود خط يمثل مراحل التطور يبدأ عند نموذج المجتمع البدائى الذى اطلق عليه مراحل التطور يبدأ عند نموذج المجتمع البدائى الذى اطلق عليه ريدفيلد Folksociety اسم أى المجتمع الشعبى الذى تسود فيه وتحكمه الطرائق الشعبية ، وينتهى عند نموذج المجتمع الحضرى Urban society أو مجتمع المدينة المعقد ، تشمل المساحة بين نقطتى البدء والانتهاء مراحل تطورية متعددة تمثل مجتمعات أخرى (١ص ٢٨).

ومن الثابت أن ريدفيلد قد حدد مجموعة من الخصائص التى تميز هذا المجتمع البسيط والتى تتفق الى حد بعيد مع خصائص المجتمع البدوى وأهم ملامحها (١ص٢٩):-

- صغر الحجم .
- العزلة النسبية .
- التشابه والاحساس الشديد بالانتماء
- عدم معرفة القراءة والكتابة .
- عدم التخصص الدقيق أو تقسيم العمل .
- سلوك اجتماعى نمطى ومتشابه ويتميز بأنه تقليدى ، تلقائى ، شخصى .
- مجتمع عائلى حيث يحدد النسق القرابى السلوك الاجتماعى للفرد وللجماعة .
- تكثر فى هذا المجتمع المسائل الخاصة بالسحر والشعوذة (٢ ص٢٣٢).

واذا كان ما سبق هو رؤية ريدفيلد لملامح المجتمعات الشعبية البسيطة كالقروية أو البدوية ، فأننا نقول أن المجتمع البدوى أو البداوة انما هى نمط من أنماط الحياة الاجتماعية ، والتى تسود بوجه خاص فى المجتمعات البدوية وتعتبر بداية للتكيف الاجتماعى لكل من الفرد والجماعة مع الظروف البيئية الصعبة والقاهرة التى أحاطت بهما ، ويرتكز هذا التكيف سواء بالنسبة للانسان أو المجتمع على مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف والنظم التى مكنتة فى النهاية من أن يحيا ويستمر بالرغم من العزلة شبه التامة المفروضة عليه (٣ ص٩).

اذا فحياة البدوى وترحاله وتنقلاته ليست بلا هدف بل انها من أجل التكيف مع الظروف المحيطة به ، وسعيه الدءوب من أجل اشباع حاجاته المتعددة كذلك فان البدوى وخاصة فى الوقت المعاصر محكوم بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية للدولة التى يتبعها ، وتحد هذه الأوضاع من الحرية التى كانت ممنوحة للبدوى ، بل كانت من أهم خصائصه وسماته ، ومن جهة أخرى أصبح البدوى مطالبا بأن يكون عضوا مشاركا فى بناء وتنمية بلده ومجتمعه القومى والوطنى .

ويؤكد القول السابق Berger حيث يذكر أن البداوة لا تعنى أبدا التجوال عبر الصحراء بغير هدف ، بل هى تمثل أقصى نوع من التوافق والتكيف للحياة البشرية مع الطبيعة القاسية (٤ ص٤٣).

والسؤال الذى يطرح نفسه هل هناك فيما بين الثقافات المختلفة سواء ثقافة البدوى أو الحضرى ، الريفى البدائى ، أو المتقدم الصناعى جملة من السمات التى حددها العلماء وتكون منطلقا للدراسة الحالية أو لا ؟

ويجيب ويسلر أن هناك جملة من السمات الثقافية المشتركة بين كل الثقافات يمكن النظر اليها من حيث هى (٥ ص١٠٤) :-

١ - استنباطى أى مستمد من الخبرة والمزاولة كالحرف والصناعات والمهارات والعلم والتكنولوچيا والمنطق .. أو .

٢ - جمالى كالأعمال الفنية ورموز وثياب الطقوس والأشياء غير المادية كصور الترويح والحادثات والاختلاط الجنسى .. ثم

٣ - الضبط بمعنى التأثير على أفراد الجماعة بأشياء مادية كالشارات الوطنية واشعارات

السلطة أو الوسائل القهرية الأخرى وغير المادية كالعادات . والمقتنيات الخلقية والجزاءات الدينية والقوانين .

ويلاحظ أن ماقدمه ويسلر يعنى اشتراك المجتمعات فى هذه التكوينات أيا كان مستواها فلا يخلو مجتمع من عناصر استنباطية أو جمالية أو نظم للضبط الاجتماعى كالعادات والتقاليد والأعراف والقوانين والجزاءات الأخلاقية والمادية والدينية مع اختلاف مستويات وكيفية وأشكال هذه التكوينات من مجتمع لآخر .

واذا كانت هذه بعض السمات المشتركة بين سائر المجتمعات من الناحية الثقافية فهل ما يميز ثقافة البدوى يجعله جامدا ساكنا استاتيكيا لايتحرك ولا يتغير ولا يتبدل أم أنه مثله مثل باقى الثقافات عرضة للتغيير والتبديل بحكم حركة الظاهرة الاجتماعية وطبيعتها وبحكم سير المجتمعات وظروفها التى لا تبقى ولا تستقر على حال .

ولكى نجيب على التساؤل الكبير كان لنا أن نختار بين أسلوبين أو نمطين من أنماط الدراسات الحضارية ، حيث الخط الأول الذى يمثل واحدا من الدراسات الحضارية المقارنة والتى يستمد مادته الرئيسية من المجتمعات البدائية أو شبه البدائية كمجتمعات الهنود الحمر والاسكيمو والقبائل التى تعيش فى عدد من جزر المحيط الهادى ومنها الدراسات التى قامت بها مارجريت ميد M.Mead (٦ ص٢٤٢) أما النمط الثانى فيشتمل على الدراسات التى استمدت مادتها من المجتمعات الحديثة . وهى أقرب الى بحوث الطابع القومى للشخصية ، ومن بين هذه الدراسات على سبيل المثال جهود د. حامد عمار ، د. سيد عويس . د. سيد ياسين عن الطابع القومى للشخصية المصرية (٧ ص ص ١٩-٣٢) .

ولقد نحى الباحث منحى هو فى الأصل مزيج من النمطين السابقين حيث اهتم بدراسة مجتمعات هى فى الأصل بدوية ولكنها بداوة معاصرة بداوة تعيش فى القرن العشرين بكل ما اشتمل عليه هذا القرن من سمات تكنولوجية ، وعوامل ومتغيرات علمية وعملية واقتصادية وثقافية وسياسية وادارية .. الخ ، كما اختار الباحث موضوعا هو فى الحقيقة يصلح لكل زمان ومكان وهو موضوع الثقافة وخاصة ذلك الاطار الذى نطلق عليه عادات وتقاليد ، وحاول أن يدرس عينة من هذه العادات التقاليد بأحد المجتمعات العربية وهو المجتمع السعودى وخاصة ذلك النوع من المجتمعات المحلية الذى نطلق عليه المجتمع البدوى ، ولذلك أصبح موضوع الدراسة " عادات وتقاليد البدو - دراسة وصفية " ، ولكى يتوصل الباحث الى حقيقة هذه العادات والتقاليد ومدى ثباتها أو تغيرها أو ما هو الثابت والمتغير منها وتحليل عوامل

الثبات أو التغير كان لابد من أن تشتمل الدراسة على مبحثين أساسيين الأول اطار نظرى يشتمل على المفهومات والدراسات السابقة . واطار ميدانى يشتمل على مشكلة الدراسة ومجالات تطبيقها والدراسة الرائدة ، ثم النتائج المشاهدة وأهم الاستخلاصات . مع الاشارة الى أن هذه الدراسة من الدراسات الأنثروبولوجية التى اعتمدت على عينة من الاخباريين وكبار السن من الذين يعيشون فى مجتمعات بدوية سعودية أو ممن هم أصلا من مجتمع بدوى سعودى ثم انتقلوا للمعيشة فى مجتمع حضرى سهودى ولكنهم لازالوا على اتصال دائم بمجتمعاتهم الأصلية .

اولا : اهم المفهومات :-

(١) البدو والبداوة : -

يمكن أن نستخلص من استعراضنا للعديد من التعريفات التى قدمت للبدو والبداوة جمل حقائق تصلح لأ تشكل تعريفا منطقيا للبداوة وهذه الحقائق هى (٣ص ص١٣٤-١٣٧) :

(أ) أن البداوة هى احدى أنماط الحياة التى عرفتها وتعرفها المجتمعات البشرية مثلها فى ذلك مثل ظاهرتى التريف والتحضر .

(ب) انها نمط حياة متكامل له من الخصائص ما يمكنه من الحفاظ على الحياة - حياة المجتمعات الدوية - بكل ما تضمه من جماعات وأفراد .

(ج) ان لها محتويان احدهما مادى والآخر بشرى ، ونعنى بالمحتوى المادى مختلف الظروف والعوامل الاقتصادية والجغرافية والطبيعية التى تشكل سمة الحياة الرئيسية فى أى مجتمع بدوى ، أما المحتوى البشرى فهو " الناس " البدو بكل ما ينظم حياتهم من معتقدات وعادات وقيم ونظم ونماذج سلوك .

(د) ان العزلة سواء العزلة المكانية أو الحضارية تكاد تكون هى الطابع المميز للداوة ، وبحيث يمكن اعتبارها - أى العزلة - أحد أسباب ظاهرة البداوة وسبب تأصلها فى آن واحد .

(هـ) ان البيئة تمارس نفوذا لا حد له على المجتمعات البدوية فهى التى تحدد للبدوى نوع طعامه وكيفية الحصول عليه ، وكذلك ملبسة ومشربه ومسكنه .. الخ كما تحدد له حيواناته كمًا ونوعاً ، كذلك تؤثر البيئة فى الانسان نفسه من حيث لون بشرته ومدى قوته وضعفه ، كما تحدد كذلك مزاجه النفسى والاجتماعى.

(و) ان البداوة لم تعد نمط حياة وحيد فى أى مجتمع من المجتمعات المعاصرة ، بل انها قد تكون قطاعا من قطاعات المجتمع يشكل مع غيره من سائر القطاعات (الريفية والحضرية) ركائز مجتمع ما ، وقد تكون مجرد جيب متخلف من الجيوب الهامشية للمجتمع ، وقد لا يوجد هذا القطاع على الاطلاق فى مجتمعات ثالثة .

(ز) ان الجانب الفكرى للباوة - القيم والعادات والتقاليد - من المؤكد أن تأثراته قد جاوزت القطاع البدوى خصوصا فى المجتمعات التى كانت البداوة تمثل النمط السائد فيه لأجيال كثيرة .

(ح) لعبت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول دورا كبيرا فى جعل القطاع البدوى يخضع لسلطات الدولة وأوجبت تعديل مساره ليكون عنصرا مشاركا فى بناء الدولة ككل ، ومن أهم الجهود فى هذا المجال ما تبذله الدول التى يمثل فيها القطاع البدوى حجما مؤثرا محاولات التوطين والتى يمثل فيها القطاع البدوى حجما مؤثرا محاولات التوطين والتنمية للمجتمعات البدوية وعلى أسس علمية سليمة .

نضيف الى ماسبق القول بأن البدوى هو ساكن الصحراء أو البيداء ، - والبدو جمع بدوى - يشكلون فى مجموعهم عددا من القبائل الرحل التى يعيش أعضاؤها فى الخيام ويعتمدون على المنتجات الحيوانية بصفة أساسية .

هذا وهناك العديد من أنماط البداوة من أهمها (٣ص ص ١٣٩-١٤٥) : -

- بداوة الجمع والالتقاط .

- بداوة الرعى .

- بداوة الزراعة البدائية .

مع الاشارة الى أن البداوة لم تعد وقفا على الصحراء ، وان كانت الصحراء بظروفها الصعبة والقاهرة تفرض على سكانها البداوة بالضرورة (٤ ص٤٥)

(٢) الثقافة : -

من الثابت أن Tylor قد قدم تعريفا للثقافة ذكر فيه أنها Culture is a com-plex which ncludes all forms of knowledge, beliefs, arts, laws, Customs, and any other capabilities a cquired by people as members of society. culture is then aproduet of Human Society.

الا أن هناك عدة تعريفات لا تقتصر الثقافة على الجوانب الفكرية التى ركز عليها Tylor بل جعلتها أوسع من ذلك وأعم منها على سبيل المثال :

" أن مفهوم الثقافة بمعناه الاجتماعى العلمى يختلف كثيرا عن معناه العام فهو يتضمن كل مايمكن أن يعلم عن طريق العلاقات الاانسانية المتداخلة ، هو يتضمن أيضا اللغة والعادات التقاليد والنظم الاجتماعية وغيرها ، أى هو يحتوى على كل ما يعمل فى المجتمع ومن يعمله ، وكل مايقال فيه ومن يقوله وكل مايصنع فيه ومن يصنعه ، ومتى يحدث هذا العمل أو هذا القول أو هذه الصناعة .. وتحت أية ظروف (٩ص٢٢) .

ويتضح من التعريف السابق الذى قدمه سيد عويس أن الثقافة شاملة لكل أساليب حياة الناس في المجتمع تلك الأساليب التى اتفق عليها واصبحت راسخة ثابته مستقرة تؤدى دورها وتحقق أهداف وغايات الأفراد والجماعات فى ذلك المجتمع ، ثم هى على المدى الطويل تشكل التراث الاجتماعى الذى يورث جيلا بعد جيل .

وتعرف الثقافة كذلك بأنها نتاج متكامل للمجتمع صنعها الانسان فى ظروف تاريخية معينة ثم تطور بها مع تطور احتياجاته المختلفة (١٠ص٥) . ويوضح هذا التعريف ويؤكد على البعد التاريخى للثقافة وأنها نتاج لظروف تاريخية معينة وهذا يؤكد قابليتها للتغير والتحول وفق تغير وتحول هذه الظروف وكذلك وفق التغير فى احتياجات المجتمع وحجم هذه الاحتياجات وما يكمن وراءها من دوافع وميول ورغبات وهناك من التعريفات ما استمل على المحتويات التى تتكون منها الثقافة مثل الذى قدمه ادوارد رويتر A-Rweter وأسمى هذه المكونات وجوه الثقافة والتى تمثلت فى الآتى (٥ ص ص ١٠٤ . ١٠٥):-

١ - **أشياء ماديه :** كالمبانى والعدد والأدوات ، آلات تستخدم فى البيئة .

٢ - **هيكل أنماط السلوك :** عادات ، أنشطة ، مهارات تستخدم الأشياء المادية

٣ - **الأنماط العقلية :** العواطف الاتجاهات، التفكير، القيم ، الشعر، الموسيقى، الملابس .

٤ - **التنظيم الاجتماعى:** تراكيب المنظمات من حيث علاقتها بالسلطة والقوانين والملكية وعلاقات الأسرة .

٥ - **العناصر الرمزية للثقافة :** كادوات لامادية من لغة ورسوم ورياضيات ووسائل أخرى تمثل العالم الواقعى وتمكنه من التحكم فيه .

٦ - **تنظيم الفكر :** كوجه آخر للثقافة يشمل كل هيكل العلم والفلسفة والمعتقدات الدينية والسحر .

وهذا وهناك العديد من التعريفات التى قدمت لمفهوم الثقافة ، حيث اتفقت هذه التعريفات بالاضافة الى ما أوضحناه آنفا على أن الثقافة هى كل شىء وأى شىء يتفق عليه المجتمع ويستقر ويستمر لأنه يرتبط باحتياجات أعضائه التى يسعى المجتمع الى اشباعها باستخدام الوسائل المادية وغير المادية التى تكون اطار المجتمع الثقافى . ومن الثابت أيضيا أن العادات والتقاليد والقيم والعرف والقانون والأخلاق والدين من المكونات الأساسية لأى ثقافة ، وبالتالى تحظى هذه المكونات باهتمام الباحثين على اختلاف ميولهم وأغراضهم ومناهجهم البحثية . وسوف نعرض لمفاهيم العادات والتقاليد والقيم فيما يلى : -

٣ - القيـــم :

يمكن النظر الى القيم على أنها انعكاس للأسلوب الذى يفكر الأشخاص به فى ثقافة معينة وفى فترة زمنية معينة ، وهى التى توجه سلوك الأفراد واحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك فى ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير (٦ ص ١٦) .

هذا وقد تتجاوز الأهداف المباشرة للسلوك الى تحديد الغايات المثلى فى الحياة فهى على حد تعبير روكاشى Rokeach احدى المؤشرات الهامة لنوعية الحياة ومستوى الرقى أو التحضر فيأى مجتمع من المجتمعات(١١ص٥٦).

وكذلك يمكن القول بأن القيمة هى كل شىء سواء كان ماديا أو معنويا فكرة أو نظاما ك شيئا موجودا بالفعل أو شيئا وهميا ، تقف منه الجماعات والأفراد موقفا تعييميا وتعلق عليه أهمية كبرى فى حياتها ، وتنزع نحو تملكه كشىء لاغنى عنه لحياتها (١٠ص٦٠) وتشتمل القيم على الأشياء التى تضمن التوازن الداخلى للفرد . ويعطيه السعى اليها الاحساس بآداء الواجب آداء جيدا .

هذا والقيم عامل هام بل ان له أهمية كبرى فى سلوك الانسان الفرد حيث يؤثر الميل نحو أى قيمة من القيم وبشكل حاسم على معاملات الأفراد سويا ، بل أن لكل فرد منا سلم خاص للقيم التى يضع بعضها فى أعلى درجاته والآخر فى أدنى الدرجات وهكذا (١٠ ص٦١).

واذا كانت القيـــم تمثـــل نوعا من أنـواع المعايير المضابطة فى المجتمـــع بل ومن خلالـــها تصـاغ الجـزاءات (سلبية وايجابية) وبالتالى تكتسب مكانتها فى سلم الضبط

الاجتماعى الذى لاغنى عنه فى أى مجتمع فأن المعايير يمكن أن تنقسم الى عدة أشكال وهى (١٢ص ص ٥١، ٥٢):-

الفئة الأولى : وتتمثل فى العادات الشعبية والأخلاقية وهما يشكلان الجانب الأكبر من المعايير الاجتماعية .

الفئة الثانية : وهى القوانيين التى ترتبط بوجود التنظيم السياسى الذى يتمتع بوجود سلطة مركزية في المجتمع .

الفئة الثالثة : وتتمثل فى تلك المعاير التى تحكم العلاقات بين أعضاء الروابط والهيئات الخاصة فى المجتمع ، وتستند هذه الفئات الثلاث جميعا من المعايير الى جزاءات سلبية وايجابية محددة (١٣ ص ٣١٨) .

واذا كانت القيم بمعناها العام والذى نستشفه من التعريفات السابق الاشارة اليها هى موجهات للسلوك وضوابط له وأنه لون من ألوان المعايير المجتمعية فان للقيم مكانة فى الثقافة العربية قد لايكون لها نظير فى الثقافات الأخرى ويتضح هذا من العبارة التالية (١٤ص١٠) :-

" يشتمل بناء الثقافة العربية على مجموعة من القيم التى يناط بها توجيه السلوك والمفاضلة بين الأفعال . وليست المعايير التى يحتكم اليها الانسان من صنعه - بناء على نظرية ثقافة تقوم على جانب الثبات والدوام - بل هى مفروضة عليه وهى انما فرضت لأنها بمنزلة الحق الموضوعى الذى لاقبل للانسان أن يغيره أو يحوره .

وبالرغم من المقولة السابقة فان الباحثين التجريبيين يؤكدون امكانية أحداث التغيير الفعلى فى القيم من خلال عدج أساليب (٦ ص ص ٢٤١-٢٥٨):-

١ - تغيير القيم الاتجاهات من خلال وسائل التخاطب الجماهيرى .
٢ - استخدام أسلوب السويودراما فى تغيير اتجاهات الأطفال - بصفة خاصة - وتغيير قيمهم .
٣ - أسلوب الاستماع الى القصص .
٤ - أسلوب توضيح القيم .
٥ - أسلوب تنمية القيم الأخلاقية من خلال التنشئة الاجتماعية .
٦ - اسلوب التوجيه والارشاد .
٧ - البرامج التربوية .

واذا كان لنا من تعليق على هذه الأساليب المختلفة ومكانتها فى المجتمع بصفة عامة نقول أن لدور وسائل التخاطب الجماهيرى أهمية خاصة حيث يمكن لهذه الأدوات أن تلعب درا خطيرا فى اعادة البناء القيمى للمجتمع بما لها من قوة تأثير وقدرة على الانتشار وسرعة فى توصيل رسائلها بشتى أشكالها .

وخلاصة القول أن القيم ماهى الا موجهات للسلوك ومحددات له ولنطاق حركته وتمكنه بما يتفق وغايات مجتمع محدد ويساعد على ذلك نظام للاثابة وللعقاب متفق عليه المجتمع ويرتضيه أفراده .

ونشير كذلك الى أن القيم معايير نسبية تختلف باختلاف المجتمعات وتختلف فى المجتمع الواحد من زمان الى زمان آخر بل انها تختلف فيما بين الأفراد فمنهم من ينظر الى المال كقيمة عظمى وفى أعلى سلم قيمه بينما يرى آخر بأن الشرف هو ذروة القيم وثالث يعتبر الأرض هى قمة القيم وهكذا . مع الأخذ فى الاعتبار قابلية هذه القيم وغيرها للتغيير والتبديل .

٤ - العادات : -

يمكن تعريفها بأنها طرق معينة للسلوك فى مواقف محددة لا تواجه برد فعل سلبى من الجماعة (١٠ ص ١٣٩).

كما تعرف بأنها أساليب الجماعة العرفية والمعيارية والاعتيادية ، حيث تعد العادات الاجتماعية قوة مجتمعية لها أهميتها البالغة ذلك أن العملية التى تؤدى الى تكوين العادات الاجتماعية تنحصر فى التكرار الدائم لبعض الأفعال الصغيرة التى تصدير عن عدد كبير جدا من أفراد المجتمع في مواقف معينة بالذات (١٥ ص ٥٠).

وهى أيضا عبارة عن مجموعة من الأفعال والأعمال والوان من السلوك تنشأن في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها فهي تمثل ضرورة اجتماعية وتستمد قوتها من هذه الضرورة ، ولذلك لايملك الأفراد الخروج على مقتضياتها والتزاماتها (١٦ ص١٦٨).

ولقد أجمع العديد من الكتاب السوسيولوجيون على أن للعادات جملة خصائص وسمات من أهمها مايلي : -

١ - تلقائية تنشأ فى المجتمع بحكم أنها ظاهرة اجتماعية لازمة لمعيشة الناس بعضهم مع البعض ، وتربط بينهم فى الحاضر وتلقنهم تجربة الماضى .

٢ - أنها غير مدونة ، وهى معروفة تتردد باستمرار وبنفس الكيفية .

أنها ملزمة لما لها من سلطة على الأفراد والجماعات بالرغم من عدم ارتباطها بجزاءات مادية أو غير مادية .

٤ - انها مرغوب فيها وتعتبر شيئا محببا الى نفوس يأفراد يالمجتمع .

٥ - تتعلق بالأعمال ولاتتعلق بالأفكار والمعتقدات .

٦ - تتعلق بالأفعال الضرورية الخاصة بحياة الناس وفى المناسبات المختلفة .

٧ - لها صفة القدم وهى تمت للماضى أصلا ولها صفة الاحترام والقداسة .

٨ - العادات لها صفة العمومية .

٩ - تميل أحياناً الى الجمود وتقف ضد التطور (١٦ ص ص ١٦٩ - ١٧١).

وخلاصة القول أن العادات هى مجموعة من السلوكيات التى ارتضاها المجتمع وتوارثها جيلا بعد جيل وترتبط بتحقيق غاياته وأهدافه ولها صفة التلقائية وغير الرسمية ولا ترتبط بأية جزاءات سلبية أو ايجابية .

٥ - التقاليد :-

وهى عبارة عن اصطلاحات اجتماعية تتصف بصفة الالزام والجبر وهى تتصل أحيانا بالمقومات الأساسية للجماعة وأحيانا أخرى تتصل بالأحوال العادية والروتينية فى الحياة الاجتماعية (١٦ص٢٣٥) .

وتعرف كذلك بأنها طرق معينة من السلوك التى تربطها الجماعة بقيم أخلاقية محددة وتستدعى مخالفتها جزاءات سلبية ، حيث تتطلب التقاليد قدرا معينا من الالتزام بقيم معينة واللجوء الى القهر فى مواقف معينة وتطبيق الجزاءات (١٠ ص ص ١٤٠-١٤١) .

اذا فالتقاليد شكل من أشكال رد فعل الجماعة أو الجماعات ازاء سلوك الأفراد فى بعض المواقف ذات الدلالة الاجتماعية ، وهذا نتاج ضورى لأى تجمع يريد أن يقود أفراده ودفعهم نحو السلوك المرغوب فيه وأبعادهم عن السلوك غير المرغوب فيه ، ولذلك ترتبط ردود الفعل هذه بالجزاءات السلبيية والايجابية ، والهدف الأسمى من ذلك احداث حالة التماسك الداخلى

واستمرار واستقرار التجمع الانسانى ، ونلاحظ هنا اختلاف التقاليد عن العادات خاصة فى مسألة الجزاءات ، حيث لايقابل الخروج عن عادات الجماعة أو المجتمع بأية جزاءات ، بينما يقابل مخالفة تقاليد الجماعة أو المجتمع بألوان من الجزاءات السالبة .

وهذا وتشترك التقاليد مع العادات فى أن كليهما يمتاز بالتلقائية وأنها تنشأ كنتيجة حتمية لتكون الجماعة الانسانية وظهور المجتمعات البشرية كما أنها غير مكتوبة وبالرغم من ذلك فهى منقوشة فى قلوب وعقول أبناء المجتمع يتوارثونها جيلا بعد جيل ، كما أنهما يتميزان بدرجة من الجمود النسبى الثبات والتغير البطىء لأنهما يرتبطان بضروريات اجتماعية ويحققان مطالب اجتماعية ، كما أن لهما درجة عالية منالعمومية .

خلاصة القول اذا أن التقاليد ماهى الا أنماط متفق عليها من ردود أفعال الجماعة البشرية ازاء سلوكيات أعضائها تحدد لهم المقبول من السلوك والمرفوض منه وتحدد الجزاءات المرتبطة باتباع أو مخالفة ما ترتضيه الجماعة البشرية لارتباطها بقيم معينة تستدعى اللجوء أحيانا الى القوة أو الى القهر والسلطة غير الرسمية .

ثانيا : الانتشار الثقافى منطلق للدراسة : -

اذا كانت الثقافة تشتمل على كل الجوانب المادية والمعنوية القائمة فى المجتمع فان التغير الثقافى يشير الى كل تغير يحدث فى تلك الجوانب بما يشتمل عليه من تكنولوجيا وعلوم وفنون وآداب وفلسفات ولغات وعادات ومعتقدات الى غير ذلك من عناصر الثقافة المادية والمعنوية ، والتغير الثقافى قد يبدأ فى سمة ثقافية معينة أو فى نمط ثقافى محدد ثم تؤثر هذه السمة فى غيرها من السمات تأثيرات مختلفة وبدرجات متفاوتة (١٧ ص ٤٨٨) .

ولقد اهتم علماء الاجتماع بدراسة ظاهرة التغير الثقافى على أساس أن لكل مجتمع ثقافته التى تميزه عن غيره من المجتمعات فضلا عن أن الثقافة بجوانبها المتعددة لها أثر كبير فى ضبط سلوك الأفراد فى المواقف الاجتماعية المتعددة لها أثر كبير فى ضبط سلوك الأفراد في المواقف الاجتماعية المختلفة ، كما أن العلاقات الاجتماعية التى تعد جوهر البناء الاجتماعى ، وهى أشكال وأنماط لتفاعلات الناس ، وهذه الأشكال والأنماط تتأثر كثيرا بالثقافة . كل ذلك جعل الكثيرين من البحاث والعلماء السوسيولوجين يتجهون نحو البحث عن نظرية ثقافية تفسر وتحلل جوانب الثقافة وعوامل تغيرها ومتغيرات انتشارها ، ولقد كانت من أهم النظريات التى ظهرت فى هذا المجال نظرية الاحتكاك والانتشار الثقافى ، ونظرية التخلف الثقافى ، وسوف نتحدث عن نظرية الانتشار الثقافى بشىء من التفصيل:-

نظرية الانتشار الثقافى Culrural Dieffusion theory (١٧ ص ص ٥٢٨ - ٥٣٠). يرى أصحاب هذه النظرية أن الاحتكاك الثقافى هو العامل الرئيسى فى تغير الثقافات ، وبخاصة ثقافات الشعوب البدائية ، كلما طالت فترة الاحتكاك الثقافى بين أى مجتمعين وتنوعت مظاهر وفرص الاحتكاك الاتصال بينهما زاد التغير الثقافى . وقد تفرع من هذه النظرية عدة اتجاهات نظرية نذكر منها : -

١) اتجاه يذهب الى أن الحضارة ظهرت فى مركز واحد . ثم انتقلت منه الى مختلف جهات العالم عن طريق اتصال المجتمعات بعضها ببعض وتعرف هذه النظرية بنظرية المصدر الواحد single origin .

٢) وهناك نظرية المصادر المستقلة ، ويتعلق بها نظريتان فرعيتان هما : -

أ - نظرية المتوازيات الثقافية وفكرتها أن نمطا ثقافيا معينا ينشأ فى منطقتين أو أكثر . منفصلتين عن بعضهما تمام الانفصال ثم ينتشر بشكل متماثل فى هاتين المنطقتين .

ب - الثقافات المتلاقية وفكرتها أنه يحدث أن ينشأ نمط ثقافى مختلف أو أكثر فى عدة مناطق مختلفة ، وتتطور هذه الأنماط وتتشابه بدون أى اتصال بين المناطق ، وذلك بفضل تشابه الظروف المعيشية فى هذه المناطق .

ويركز " ولاسWellace فيما كتبه عن حركات الأحياء أو البعث وعلاقتها بالتنمية على ظاهرة الانتشار الثقافى باعتبارها عاملا أساسيا فى التغيير حيث يشيير الى وجود دورة للتغير تشتمل على خمس مراحل هى : -

(١) **مرحلة الثبات والاستقرار** : وهى التى تكون قائمة قبل حدوث التغير وتتسم بوجود حالة من التكامل والتوازن بين عناصر الثقافة السائدة وفى هذه الحالة يجيز المجتمع جميع الأنماط الثقافية القائمة مادامت قادرة على اشباع احتياجات الأفراد والجماعات.

(٢) **مرحلة تزايد الاحتياجات الفردية** : تأخذ الاحتياجات فى التزايد وتعجز الأنماط الثقافية القائمة عن ملاحقة التزايد المستمر فى الاحتياجات الفردية ، ويتطلب هذا حدوث تغيرات فى الأنماط الثقافية القائمة لتكون أكثر قدرة على اشباع الاحتياجات المتزايدة .

(٣) **مرحلة التحريف الثقافى** : حينما تعجز الأنماط الثقافية القائمة عن ملاحقة

احتياجات الأفراد ، يتجه المجتمع الى استيراد أنماط ثقافية من مجتمعات أخرى يتصور أنها كفيلة باشباع احتياجات الأفراد والجماعات غير أنه يفاجأ بحدوث تعارض بين الأنماط الثقافية الجديدة والأنماط القديمة مما يترتب عليه صعوبة امتصاص وهضم العناصر الجديدة وحدوث عملية تحريف لعناصر الثقافة الأصلية ويكون ذلك تحديا أساسيا للمجتمع .

(٤) **مرحلة الاحياء** : يحاول المجتمع أن يعيد توازنه عن طريق احياء عناصر ثقافته القديمة ، مع الاستفادة بالعناصر الثقافية الجديدة التى أثبتت فعالية ونجاحا ، وعلى الرغم من كثرة التحديات التى تواجه المجتمع فى هذه المرحلة فانه يستطيع أن يواجهها بنجاح ، وبذلك تتم عملية التحول الثقافى .

(٥) **مرحلة الثبات والاستقرار** : حينما ينجح المجتمع فى اعادة التوازن بين عناصر ثقافته ، يعود الى حالته الطبيعية وتشمله حالة من الثبات والاستقرار ، تختلف عن الحالة التى كان عليها من قبل ، وفى تعليق على هذه النظرية (الانتشار الثقافى) يقول د. عبد الباسط محمد حسن (١٧ ص٥٣٠) : -

بالرغم من أهمية الانتشار الثقافى فى نقل بعض السمات والعناصر الثقافية من مجتمع لآخر . وفى احداث عمليات التغير ، فان من الصعوبة بمكان نقل نمط ثقافى للاختلافات الكثيرة فى الظروف الاجتماعية والملابسات القومية التى تميز المجتمعات بعضها عن بعض فما يصلح للتطبيق فى مجتمع معين قد لايصلح للتطبيق فى مجتمع آخر ، وما يقبل التطبيق فى زمان معين قد لايقبل التطبيق فى زمان آخر .

وتأكيدا للمقولة السابقة أجمع عدد من الباحثين السوسيوجيين على أن تفسير التغير الاجتماعى بالاضافة الى استناده الى العوامل الثقافية فانه يستند كذلك الى نوع من الحتمية التكنولوجية ، بينما اشار آخرون الى مايسمى بالحتمية الاقتصادية ، وفريق ثالث أرجع التغير الى عوامل فكرية وايديولوجية .

والواقع الذى تؤكده الشواهد الامبيريفية يقول ان التغير الاجتماعى يمكن ارجاعه الى تفاعل مجموعة من العوامل تفاعلا مستمرا وبالتالى ضرورة النظرة المتكاملة لتفسير التغير الاجتماعى - ويميل الباحث الى الأخذ بهذا الاتجاه - والذى من أهم عوامله العامل الجغرافى والعامل السكانى والتكنولوجى والاقتصادى والفكرى والثقافى والاتصال بين المجتمعات ، يضاف الى ذلك كله متغير هام وهو القادة والزعماء (١٩ص١٣٠).

هذا واذا كنا فى مجال تغير وتطور العادات والتقاليد فان هناك من أشار الى أن أهم عوامل التطور تكمن فيالآتى (١٦ص ص١٩٧-١٩٩): -

(١) انتقال الأشكال الاجتماعية من حالة البساطة الى حالة التعقيد سواء فى الحجم أو فى عدد السكان .

(٢) تطو النظام الأسرى من ناحية الوظيفة ومن ناحية النطاق ، حيث تخلت الأسر الحديثة عن معظم وظائفها القديمة وبالتالى انتهت مجموعة كبيرة من العادات التى كانت تصاحب هذه الوظائف . ومن ناحية النطاق أصبحت الأسرة الحديثة نووية بعد أن كانت ممتدة وبالتالى انتهت العادات القبلية وانتهت رقابة العشائر والبطون على أفرادها .

(٣) زيادة موجات الهجرة الخارجية وبالتالى تغير الكثير من الأشكال والنماذج الاجتماعية ، وكذلك زادت موجات الهجرة الداخلية واستتبع ذلك تأثر العادات وتغيرها .

(٤) تقدم وسائل المواصلات وأثره فى اتصال عادات المجتمعات المختلفة وجوانب حضارتها وطرق حياتها.

(٥) استخدام المخترعات والأجهزة الحديثة والتكنولوجيا بصفة عامة ، وقد أدى اتساع استخدام وانتشار وسائل الاعلام المختلفة من اذاعة مرئية وصحافة ونشر الى تطور العادات والتقاليد والعرف وأدى أيضا الى تحسن مظاهر السلوك الفردى والجماعى .

ولاشك أن وجهة النظر هذه وخاصة فيما يتعلق بالمتغيرين الآخرين وهما تقدم وسائل المواصلات والتوسع فى استخدام المخترعات والوسائل التكنولوجية وخاصة وسائل الاعلام ، يعتبران من العوامل الهامة فى احداث التغير والتطور سواء فى العادات أو فى التقاليد أو الاعراف أو القيم وكذلك التطور والتغير فى القوانين المجتمعية ، وهذا يتمشى مع القول بأن التقارب بين المجتمعات والتواصل بينها من أهم عوامل التغير الانتشار الثقافى ، هذا مع التأكيد على أثر التغير والتطور فى الاحتياجات الفردية والجماعية ويستلزم هذا التغير تغيرا فى النظم المجتمعية ومنها النظم الثقافية التى تشتمل على الاطر الثقافية ومن أمثلتها العادات التقاليد والأعراف والسنن والسلوك الجمعى والقوانين وغيرها .

ثالثا : الدراسات السابقة :-

ونشير الى أن استعراضنا للدراسات السابقة سيتضمن ثلاث دراسات، الأولى دراسة أجنبية والثانية دراسة عربية خليجية والثالثة دراسة رائدة مصرية .

الدراســـــة الأولى : -

الزواج عند النوير (٢٠ ص ٤٩) :-

وهنا نلخص أهم ماتوصل اليه ايفانز برتشارد Evans pritchard ويرتبط بجانب من جوانب دراستنا الحالية ، حيث أجرى دراسته عن قبائل النوير السودانية . وفيما يتعلق بعادات وتقاليد الزواج والقرابة أشارت دراسته الى عدة ملاحظات (٢١) : -

* عندما تبلغ الفتاة سن الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمرها فان الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس يبدءون التودد اليها ومطارحتها الغرام ، حتى اذا بلغت سن السادسة عشرة تكون لديها " عشيقا" واحدا على الأقل ، ويعلق بريتشارد بأن المرحلة التى تسبق الزواج تتسم بانتشار الانحلال الخلقى بين الفتيات .

* تتراوح سن الزواج لدى الفتيات بين السابعة عشرة الثامنة عشرة أما الفتى فزواجه يخضع لعوامل عدة منها حجم الأسرة وترتيب الفتى بين أفراده الذكور ، وكذا قطيع الماشية التى تمتلكها الأسرة ، ولابد ن توافق أسرة الفتاة على الفتى المتقدم بطلب الزواج ، لكن أسرة الفتاة فى نفس الوقت لاتستطيع ارغام فتاتها على الزواج من شاب لاتحبه .

* على أسرة الفتى تقديم المهر ثم تقام عدة حفلات منها حفلة الخطوبة ثم حفلة الزواج وغالبا ماتكون فى فصل الأمطار حيث يتوفر (الثريد والبيرة) ويشترك الأهالى من كل مكان فى هذه الاحتفالات .

* ليس مهما أو يدعو للقلق أن وجد العريس عروسته ليست عذراء وفى صباح يوم الزفاف يقوم أحد أفراد اسرة الزوج بحلق شعر رأس العروس ، وعندها يعتقد الأهالى بأنها أصبحت زوجة بالفعل ، أما أسرة الفتاة التى تقيم ابنتهم لديهم فى كوخ خاص أعد لها والتى يزورها الزوج ليلا فيه فهم يعتبرون الزواج تم كلية فى حالة انجاب ابنتهم طفلا ، وعندما يعتبرون أن العريس أصبحت تربطهم به روابط قرابة ، وتظل الزوجة فى منزل والديها حتى يتم فطام الطفل ، وبعدها يقيم الزوج لزوجته كوخا مستقلا بجوار أهله ويحضرها من مسكن أهلها اليه .

تعليـــق : -

من القراءة المتأنية لدراسة ايفانز برتشارد عن قبائل النوير يتضح للباحث أنها قد ركزت على عادات وتقاليد الزواج وأصول القران والعوامل المؤثرة فيها ، وقد أجريت هذه الدراسة فى

الثلاثينات من القرن ولاشك أن هناك تغيرات كثيرة قد حدثت فى هذه العادات والتقاليد فى وقتنا المعاصر ، كما أن هذه الدراسة لم تتطرق الى حصر وتحديد عادات وتقاليد ترتبط بمجالات أخرى كثيرة مثل التعليم والترويح والأنشطة الاقتصادية وغيرها . بالرغم من تواضع الدراسة التى يجريها الباحث مقارنة بدراسة برتشارد فانها تتعرض للكثير من هذه المجالات وما يرتبط بها من عادات وتقاليد الثاتب منها والمتغير .

الدراسة الثانية : -

قبيلة بنى كبير احدى قبائل المملكة العربية السعودية (٢٢ ص ص ٣١٥-٣٣٩) ان المجال هنا لايسمح بعرض هذه الدراسة بكامل تفصيلاتها ولذلك نعرض ملخصا لهذه الدراسة يشتمل على تقدمه الدراسة وأهم النتائج التى توصلت اليها وترتبط الى حد بعيد باتجاهات دراستنا الحالية . حيث نلاحظ أن اسم " بنى كبير " ورد ذكره مرات عديدة ، وأن مصادر التاريخ تقول أنها من البطون الباقية من قبائل غامد بعد أن اقرض معظم البطون عبر التاريخ " ولم تعد بنى كبير " بطنا بالمفهوم الاجتماعى الذي يعنى تبعيتها لقبيلة أخرى تتبع نظامها وقانونها وتخضع لسلطة شيخها وتدخل أراضيها ضمن أراضيها بل انها أصبحت قبيلة لها نظمها الخاصة وحدودها الاقليمية وتتميز عن غيرها من القبائل الأخرى .

ومن الملاحظ أنه يطلق على هذه القبيلة (قبائل بنى كبير) ويرجع الباحث أن هذه التسمية جاءت بعد انضمام (بنى واليه وشكر) الى قبيلة بنى كبير الأصلية فعرفت بقبائل بنى كبير ، لكن الاسم الرسمى المعتمد لدى امارة المنطقة هو قبائل بنى كبير وشيخها يطلق عليه (شيخ قبائل بنى كبير) والمتداول بين الناس هو اسم (بنى كبير أو بنى قابوس) .

ومن أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسة ما أشار اليه الباحث الذى لاحظ شمول التحضر بربوع هذه القبيلة - مع الأخذ فى الاعتبار أنه لايقصد بالمجتمع القبلى المجتمع البدوى وانما شمل المجتمع القبلى النشاطات الثلاث الزراعية والصناعية والرعى - وقد أشارت الدراسة الى أن عملية التحضر هذه أنتجت أربعة مظاهر هى : -

أولا : الشعور بالأمن .

ثانيا : البترول والهجرة .

ثالثا : التكنولوجيا الحديثة .

رابعا : العلاقات الاجتماعية .

وفيما يتعلق بالمظهر الأول يذكر الكاتب أن من رأيه من أبرز النتائج الايجابية فى المجتمعات القبلية كنتيجة أولى للتحضر هو (الشعور بالأمن) وارتفاع قيمة الانسان الاجتماعية ، ويعتقد الكاتب أن المعيار الشامل الذى يمكن أن يقاس به المجتمع المتحضر أو المتقدم هو معيار الأمن والشعور به - بغض النظر عن الجوانب الأخرى التى يمكن أن تكون معايير أخرى لقياس التقدم الحضارى وفى رأيه كذلك أن أهم العوامل التى سببت الشعور بالأمن وتحقيقه فى المجتمع القبلى عاملان : -

(أ) قيام الدولة السعودية .

(ب) التعليم .

أما من حيث المظهر الثانى الذى أفرزه التحضر وهو البترول والهجرة فقد ذكر الكاتب أن اكتشاف البترول له مجموعة الآثار على البناء القبلى منها التفريغ شبه الكامل من سكان قرى بنى كبير وخاصة من فئات الشباب والذين بدأوا بعد ذلك فى اصطحاب زوجاتهم وأطفالهم الى أماكن العمل ، وهذا الأمر أدى الى شبه توقف كثير عن الأنشطة الاقتصادية التى كانت قائمة فى القبيلة ، فهؤلاء الشباب وزوجاتهم وأطفالهم كان لكل منهم دوره فى النشاط الاقتصادى وعند سفرهم وعدم وجود الأيدى العاملة البديلة ، أدى الى توقف العمل في النشاط الزراعى والرعوى والاستغال بالصوف توقفا تدريجيا .

وقد كان نتيجة هذا التدهور ثم التوقف التدريجى أن أصبحت هناك فئات تعانى اقتصاديا وفى حاجة الى الدعم المالى المناسب وبالتالى بدأت الدولة فى معالجة هذه الظاهرة بعدة طرق منها (٢٢ ص ص٣٢٠-٣٢٩) : -

(١) الضمان الاجتماعى .

(٢) اعانة المزارع .

(٣) اعانة الماشية .

وبالنسبة للمظهر الثالث وهو التكنولوجيا الحديثة لاحظ الكاتب التغير الكبير الذى طرأ على كثير من جوانب الحياة الاجتماعية فى مجتمع بنى كبير التقليدى نتيجة للتغير فى عناصر الثقافة لدى السكان ، فتغير نمط النشاط التجارى التقليدى وتقدم تقدما كبيرا . كما تغيرت وسائل النقل التقليدية ، واختفت تقريبا الصناعات المحلية ، وتغير نظام ونمط البيت

القروى وحدث تقدم فى الطابع العام للغذاء وتحول الى الطابع الحضرى ، الى غير ذلك من الأمور التى تمس كل جوانب الحياة فى المجتمع .

أما المظهر الرابع (أى العلاقات الاجتماعية) حيث نلخص ماذكره الكاتب الذى يقول بأن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد بصفة عامة لم تعد بنفس المستوى الذى كانت عليه حتى قبل سنوات قليلة ، والتدهور هذا تبعه تدهورا فى العلاقات بين الأفراد وبين الوحدات الاجتماعية وهذه ليست ظاهرة حضارية . حيث لابد من الاحتفاظ بعلاقات جيدة تبدأ من الأسرة الى القرية الى القبيلة ، من أجل أن يعيش الجيل الجديد فى جو تسوده المحبة والود (٢٢ ص ص٣٣٨-٣٣٩) .

وعن ملاحظاته فيما يتعلق بأثر التعليم والهجرة والاتصال فى البناء القيمى لقبيلة بنى كبير يذكر الكاتب أنه بالرغم من أن التعليم والنظام ومراكز الأشخاص فى القبيلة ، فان التغير فى القيم كان أقل نصيبا من غيره ، فمثلا كان الشباب يمارسون الزراعة فقط وقليلا من التجارة فى مجتمعهم ولكنهم بعد الهجرة بدأوا العمل كمستخدمين فى المتاجر والبيوت وكان أهلهم ينظرون الى أعمالهم هذه بازدراء شديد ، بينما يحاول هؤلاء الشباب اخفاء عملهم الحقيقى ويدعون أنهم يمارسون أعمالا مكتبية أو تجارية ، وتعلم المهاجرون هناك كذلك حلق اللحية وشرب الدخان وهما أمران كانت القبيلة تعتبرهما شيئا مكروها لايجوز الاقدام عليه ولهذا فقد وقف كبار السن ضد هاتين الظاهرتين لمحاربتها ، لكنها مع مرور الزمن وبسرعة انتشرت بين الشباب ولعل الأهمية من ذلك أن هؤلاء الشباب بدأوا يصطحبون عائلاتهم الى أماكن العمل وبهذا حدث نقص فى اعداد الأسر وازداد النشاط الاقتصادى للقبيلة ثم ان سفر المرأة بالنسبة الى كبار السن أمر غير مستحب (٢٢ ص ١٢٧) .

تعليـــق : -

اهتم الباحث وهو يتعرض ملخص دراسة قبيلة بنى كبير أن يبرز مقولة كاتب الدراسة بأنه لايقصد بالمجتمع المدروس وهو القبيلة المجتمع البدوى أو الرعوى حيث أن نشاط المجتمع القبلى لايقتصر فقط على النشاط بالرعوى بل يتعدى ذلك ويشمل النشاط الزراعى والتجارى وغيره ، كما أبرز الباحث المتغيرات الأساسية التى توصل اليها وأبرزها الكاتب والتى كانت سببا وراء حالة التحضر التى مر بها المجتمع القبلى الذى درسه وهو قبيلة بنى كبير الغامدية السعودية . وما يهمنا هنا أن نبرز أن الدراسة الحالية تركز على المجتمع البدوى بصفة خاصة وأهم الثوابت والمتغيرات المرتبطة بالعادات والتقاليد لمناطق بدوية متفرقة

بالمملكة العربية السعودية ودراسة أهم عوامل التغير التى مرت بها أو تمر بها هذه العادات والتقاليد فى الوقت المعاصر مع الاشارة الى أن الباحث يحاول أن يقدم صورة تشتمل على العديد من عادات وتقاليد البدو وفى مجالات متعددة ولا تقتصر على الجوانب الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية ، بل محاولة لابراز رؤية شاملة لمجتمع البدو المعاصر .

الدراسة الثالثة :

دراسة رائدة (٥ ص ص ٢٨٥ - ٣١٢)

- ويشتمل ملخص الدراسة على : -

أولا : أهداف الدراسة ومنهجها .

ثانيا : الثبات والتغيير فى عادات دورة الحياة رؤية شاملة .

ثالثا : الثبات والتغيير فى عادات الميلاد .

رابعا : الثبات والتغيير فى عادات الزواج .

خامسا : الثبات والتغيير فى العادات المرتبطة بالشيخوخة والموت .

أولا : أهداف الدراسة ومنهجها :-

تصف الدراسة الحالية وتحلل الملامح الاجتماعية الأساسية المميزة لدورة حياة قبيلة المهاندة بالخور ، شمال مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر . وهذه القبيلة من القبائل الأصلية الخاصة بقطر ولذلك فهى تعكس عاداتها الاجتماعية والأساليب الجمعية الشعبية التى ظلت حصينة ضد التغير السريع .

ويذكر د. العادلى أن الدراسة التى نحن بصددها دراسة اثنوجرافية فى المقام الأول ، ومن المعروف أن الاثنوجرافيا Ethnography تعنى أساسا بعمليات الوصف العلمى المنظم لثقافات الشعوب البسيطة بصفة خاصة ، وقد تم تسجيل المادة الثقافية فى هذه الدراسة - والتى تم جمعها من الميدان - مسترشدين فى ذلك بتعريف هوبل Hoobel للاثنوجرافيا بأنها هى ذلك القسم من علم الانتروبولوجيا الذى يختص بالتسجيل الوصفى للثقافات ، ويعرف قاموس وينيك Winiok الأثنوجرافيا بأنها ذلك القسم الذى يهتم بدراسة الثقافات المختلفة .. دراسة وصفية غير تفسيرية فى المقام الأول .

ويذكر د. العادلى موضحا أهداف الدراسة أن العلم الاجتماعى سواء أكان أنثروبولوجيا أو سوسيولوجيا هو أقدر العلوم الانسانية التى تكشف لنا عن تلك المعوقات والمشكلات ، حيث يرى أن علم الاجتماع يمكن أن يحقق نجاحا كبيرا فى الكشف عن تلك المعوقات والمتمثلة فى نماط السلوك الاجتماعى التى ظلت جامدة فى الوقت الذى يجب فيه أن تتغير أو على الأقل أن تكون عالية المرونة لمقابلة مطالب الاصلاح ، خاصة اذا تبنى المنهج الانثروبولوجى فى الدراسة لأنه الأقرب الى طبيعة المجتمعات النامية وظروفها ، من مدخل أن المنهج الانثروبولوجى منهج كلى تكاملى يحتفظ بالنظرية الكلية للحياة الاجتماعية ، وبالتالى فان كل محاولة لتفتيت الانسان الفرد الى أجزاء لا تفضى الى أى معرفة حقيقية ، فالمجتمع كل والانسان كل ، وهذا هو مافرض على العرفة أن تكون كلية أيضا .. وبالتالى لا يستقيم فهمنا لعمل الثقافة الا اذا فهمناها من الزاوية الكلية ، لأن ثقافة الانسان لا يمكن أن تقسم الى مادى وغير مادى لأنهما يتبادلان التأثير والارتباط (٢٢ ص ١٠٥).

ويذكر الكاتب أن الدراسة التى قام بها دراسة وصفية أساسا اعتمدت على ملاحظة السمات الثقافية والظواهر والنظم بصورة مباشرة في ضوء الدراسة المونوجرافية (المفردة) لهاندة الحضر ، والاعتماد على الاخباريين الأمين كبار السن أساسا ، هذا الى جانب تطبيق استمارة البحث عن طريق المقابلة الشخصية والاحتكاك المباشر بالأهالى . وهذه منهجيا تدخل فى مجال الوصف المباشر والى جانب ذلك اعتمدت الدراسة على الوصف غير المباشر وذلك بالرجوع الى مصادر أخرى لمعرفة ماكانت عليه صورة العادات والتقاليد والطرق الشعبية فى الماضى ، كما اعتمدت على بعض مشاهدات وملاحظات الغير من الباحثين المسافرين .

وهناك أيضا الروبات المتوارثة والأحاديث المتناقلة والأساطير المتواترة والقصص الشعبى والحكم والأمثال والأشعار والأغانى السائدة التى تتناقلها الأجيال شفاهة .

اذ لجأ الكاتب الى استخدام أسلوب المقارنة التاريخية لمعرفة الوضع الذى كانت عليه العادات فى الماضى أو فى المجتمع القطرى التقليدى وفى المجتمع الحديث ، حيث تفترض الدراسة الحالية فى استخدامها للمقارنة التاريخية نقطة الصفر وهذه النقطة هى اكتشاف البترول منذ حوالى ثلاثين عاما ثم تداوله تجاريا وتسويقه دوليا وعلى نطاق واسع بعد ذلك .

وقد نتج عن هذا لوضع تغير اجتماعى وتأثيرات شاملة انعكست فى بناء المجتمع القطرى وفى نظمه المختلفة ، وان تفاوتت قوة تلك التأثيرات بطبيعة الحال من منطقة ثقافية الى أخرى . ويستتبع استخدام المقارنة التاريخية تلك عدم الحاجة الى تفسير الظاهرة

الاجتماعية بالالتجاء الى التاريخ يمكننا من وصف الظاهرة الاجتماعية وتحويلها أو تغيرها من نقطة البدء (نقطة الصفر) الى نقطة انتهاء محددة وذلك من أجل الوقوف على ماحدث للظاهرة موضع التساؤل من تغير .

ثانيا : الثبات والتغير فى عادات دورة الحياة " رؤية شاملة " : -

يذكر الكاتب أن هذه الرؤية الشاملة تعد ضرورية من وجهة نظره لفهم مظاهر (التغير النسبى) فى عادات دورة الحياة ، تلك العادات التى لاتنفصل عن بناء المجتمع الكلى ، وهناك عادات ثابتة وأخرى تغيرت تماما وثالثة ابتدأت تصيبها رياح التغيير . من هنا يمكن القول بأن المجتمع القطرى ، مثل غيره من المجتمعات العربية بصفة خاصة والنامية بصفة عامة ، مجتمع يتعايش فيه القديم والجديد ، جنبا الى جنب ، بمعنى أن كثيرا من النظم الاجتماعية وأنماط السلوك والقيم البدوية والتقليدية ، مازالت تتعايش حتى اليوم فى وجدان أفراد المجتمع وفى أنماط سلوكهم الفعلى جنبا الى جنب مع التصورات القيمية الجديدة والأنماط المستحدثة ، وهى ظاهرة مشتركة على أية حال تتقاسمها البلاد العربية بدرجات متفاوتة (أنظر كذلك محمد فاروق العادلى علم الاجتماع ، مصدر سابق ص ٢٩٨) ويضيف الكاتب أن مجتمع المهاندة بالخور مجتمع يعكس أصالة الماضى وتراثه التليد ، من هنا كان حرصه على دراسته ، حيث تمثل قبيلة المهاندة احدى القبائل القطرية الأصيلة ، ومادمنا بصدد تحديد مظاهر الثبات والتغير فى عادات دورة الحياة فسنقوم بعرض الخطوط العريضة كذلك موضحين فى ايجاز صورة الممارسات التقليدية للعادات الاجتماعية لدورة الحياة جنبا الى جنب مع ماحدث أو طرأ من تغير وذلك بالنسبة كما ذكرنا لعادات الميلاد والزواج الموت.

ثالثا : الثبات واالتغير فى عادات الميلاد:

حيث استخلص الكاتب من دراسته مجموعة من العادات المرتبطة بالميلاد ومن أهمها مايلى :

١ - يؤدى عقم المرأة الى الطلاق سواء كان ذلك فى المجتمع التقليدى القديم أو الحديث ، وان كانت المرأة قديما تلجأ الى العلاج بالوصفات الشعبية أو السحرية فى المجتمع القديم ، فان ارتفاع نسبة تعليمها حاليه فى زدى الى التجاءها الى مشورة الأطباء والمستشفيات المتاحة الى جانب استخدام بعض الوصفات الشعبية فى بعض الأحيان .

والشىء الجديد أن العلاج قد يشمل الزوج والزوجة بعد تغير المفاهيم والنظر الى سبب

العقم على أنه يمكن أن يكون من الرجل أو المرأة بعد أن كان السبب يوصم المرأة قديما والمرأة وحدها .

٢ - بعد أن كانت المرأة قديما تلد على يد قابلة بالمنزل ، أصبحت هناك مراجعة للطبيب خاصة فى شهور الحمل الأخيرة والولادة تتم بمستشفى النساء بالدوحة .

٣ - تعد خلفة الذكور من الأمور ذات القيمة الاجتماعية العالية فى المجتمع (مجتمع المهاندة) قديما وحديثا على حد سواء .

٤ - يدرب الطفل على القدرات المختلفة كالجلوس والوقوف والمشى بنفس الأسلوب قديما وحديثا ، الا أنه يلاحظ الاستعانه بالخدم من الهنود والباكستان بصفة خاصة للمساعدة في هذا الأمر مع الاستعانة ببعض الأدوات المعاصرة التى تساعده على هذا التدريب ، ولوحظ أن الطفل كان ينام قديما فى حوض يوضع له فى نفس حجرة الأبوين أما الأن فينام فى سرير عصرى فى حجرة الأبوين أو حجرة أخرى خاصة مع ترك الباب بدون اغلاق حتى يسمع صوت الوليد عند البكاء .

٥ - تساعد التنشئة الاجتماعية فى المجتمع القديم والحديث على تحديد الفروق الفسيولوجية بين الأنثى والذكر وذلك عن طريق تقسيم العمل بينهما ، كما تبرز طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل في المستقبل ، فالبنت تدرب علي أعمال اليت منذ طفولتها وعلى أن تكون مطيعة ورقيقة فى معاملتها مع الآخرين وهذا اعداد لها لأداء دورها كزوجة وربة بيت وأم في المستقبل ، ولا يدرب الذكر على هذه الأعمال المنزلية ، وان كانت الدراسة أشارت الي أن بعض الرجال لايجدون غضاضة فى مساعدة زوجاتهم فى الوقت المعاصر في الأعمال المنزلية خاصة فى حالة عدم وجود من يساعد أو مرض الزوجة الشديد الذي يمنعها من الحركة أو العمل بالمنزل .

٦ - لا تختلف عادة التسنين فى المجتمع القديم عن الحديث ، أما بالنسبة لعادة الختان فقد اقتصرت الآن على الذكور ، ويفضل الكثيرون ختان الأولاد بواسطة بعض المختنين المحترفين فى القبيلة على أن يعقب ذلك احتفال وعشاء حيث يتجمع الأقارب ويمارسون الغناء على صوت الدفوف أغانى خاصة بهذه المناسبة .

٧ - عند بلوغ الذكر فان والده يرغب فى تزويجه على الفور (فى المجتمع التقليدى أى مجتمع ماقبل اكتشاف البترول ، وفى فترة ماقبل البلوغ يخرج مع رفاقه دون اية قيود ، أما البنت فتمنع من اللعب عند سن العاشرة ومن الاختلاط بالصبيان ، وحديثا تأخر

نسبيا سن الزواج بالنسبة للولد نتيجة انتشار التعليم ، وبالنسبة للبنت مازال تفضيل تزويجها مبكرا هو السائد حيث نجد بناتًا متزوجات بالمدارس ونسبة كبيرة متزوجات بالجامعة .

٨ - يلاحظ قلة أغانى الأطفال وألعابهم حديثا مقارنة بالقديم نظرا لانتشار التعليم والمدارس النظامية مما يهدد الكثير منها بالانقراض .

رابعا : الثبات التغير في عادات الزواج : -

أ - المجتمع التقليدى القديم .

١ - الزواج داخل العائلة الممتدة ، ويتم دون مشورة البنت ، ووالد الفتاة صاحب الأمر وانهى ، وكانت المهور غير مغال فيها وتحدد المهور وفقا لاسم العائلة وسمعتها ودرجة قرابة العريس لعروسه .

٢ - تراوحت المهور فى السابق بين أبناء القبيلة بين خمسين الى مائة روبية غير الملابس ، والذهب قليل ورخيص اذ كان يكفى دبلة أو عقد رخيص ، المال لا وزن له اذا كان العريس ابن عم العروس أو ابن خالها فما يدفعه يوافق عليه الأب على الفور خاصة اذا كان من ابن عمها .

٣ - أما التصرف فى المهر فكان يتوقف على عقلية الأب ومدى تمسكه بالعادات . فالبعض كان يأخذه لنفسه كله ، والآخر يقسمه الى قسمين يأخذ نصفه ويعطى الآخر لابنته ، والبعض الثالث يعطيه كله للبنت بل ويزيد عليه ، والبعض الرابع يدخلونه فى تجارة باسمها.

٤ - انخفاض نسبة التعليم بل وعدم فتح مجاله أمام البنت كان من بين أسباب تخلفها وسيطرة الأهل وفرض الزواج عليها بمن يرغبون ، كان من أهم أسباب عدم حرية الفتاة فى اختيار شريك حياتها .

٥ - كانت العروس فى الماضى لا تخضب بالحناء خشية أن يشيع القول بأنها فرحة بالزواج وتريده .

٦ - لايمكن تخطى ترتيب الفتيات فى الزواج حيث لايسمح للأخت الصغرى بالزواج قبل الكبرى .

٧ - العريس يقوم باعداد جهاز العرس على نفقته الخاصة دون أن يشاركه أهل الزوجة فى ذلك ويرسل هذا الجهاز الى منزل أهل العروس حتى يتم الزفاف والدخلة . حيث ينقل الى منزل العريس يستقبل العروسان فى منزلهما .

٨ - لم يكن معروفا أنواع المكياج والعطور والتزين المعروفة فى الوقت الحاضر ، كانت العروس تزف الى عريسها بملابسها المتسخة التى عليها وثيابها القديمة .

٩ - لم يكن يقام بالماضى أى احتفال بمناسبة الزفاف ، ولم يكن يوجه دعوات لحضور أية احتفالات ، حيث اعتاد أهل القبيلة حضور الاحتفالات دون أن توجه لهم أية دعوة كما لم يكن هناك التورتات والجاتوهات واستعمال الشوك والسكاكين والملاعق حيث كان متعارفا على استخدام الأيدى فى تناول الأطعمة .

ب - المجتمع الحديث : -

١ - يشترك الأهل فى اتخاذ قرار الزواج دون تحكم صارم ، ولكن يلاحظ هذا التحكم ساريا بدرجة أخف بالنسبة للبنات ، ومازال الزواج من ابن العم هو الصورة المفضلة والمثلى فى نظر الأهالى ، يعلن زواج بقية الأقارب والزواج من خارج القبيلة مرفوض والمغالاة فى المهور هى الظاهرة المعاصرة وهذا دفع بعض الشباب الى الزواج بغير القطريات رغم المعارضة الشديدة من الأهالى .

٢ - مغالاة شديدة فى المهور ليس فقط فى قبيلة المهاندة بل فى المجتمع القطرى بأكمله مما دفع الشباب الى الذهاب للزواج من غير القطريات .

٣ - مازال التصرف فى المهر يخضع لعقلية وحكمة وتصرف الأب أو ولى الأمر .

٤ - دخول الفتاة فى مجال التعليم جعلها تعارض فكرة الزواج فى سن صغيرة بالرغم من تفضيل الشباب الزواج بالفتاة الأصغر سنا والأقل تعليما منهم حتى الشباب بالجامعى والمثقف وتفضل الفتاة المثقفة حاليا أن يكون زوج المستقبل لايعيش مع أهليه . وألا يكون فارق السن كبيراً .

٥ - ليلة الحناء أمر عادى حيث تقوم " الحقناية " بالنقش على يدى ورجلى العروس بالحناء نقوشا جميلة ويصحب ذلك تناول المأكولات والغناء والضرب على الدفوف ، ولا تتزين العروس كثيرا حتى تظهر بكامل زينتها ليلة الزفاف وتفضل الفتيات فى هذه الليلة ارتداء فستان أخضر فى ليلة الحناء تفاؤلا بهذا اللون .

٦ - يمكن للأخت الصغرى أن تتزوج قبل الكبرى ولو أنه غير مستحب ولكنه يحدث .

٧ - ويتمسك المجتمع بهذه العادة حتى الآن ولكن يتغير مكونات الجهاز نفسه ، حيث أصبحت مختلفة وبعضها على النمط الأوروبى وذلك نظرا لتغير الثقافة المادية فى المجتمع .

٨ - أما الآن فتستخدم الحقائب الكبيرة والزاهية والمصنوعة بالخارج حيث توضع فيها حاجيات وملابس العروس ، وتستخدم العروس أنواع المكياج والعطور الحديثة فى تزيين نفسها ، ويتم تنظيف العروس وادخالها الحمام قبل عرسها .

٩ - تقام الاحتفالات وتوجه الدعوات الشفوية التى توجها أم العروس لنساء الحى والأقارب ويوجهها والد العريس الى الرجال واستخدان الدعوات المكتوبة على هيئة كروت ، وأصبحت هناك مغالاة فى عدد الذبائح التى تذبح ليلة الزفاف من أجل المباهة خاصة فى القبائل والعائلات القوية ، وتقدم التورتات الفاخرة وأدوات الطعام التى لم تكن تستخدم فى الماضى .

خامسا : الثبات والتغير فى العادات المرتبطة بالشيخوخة والموت : -

أ - المجتمع التقليدى القديم : -

١ - كان كبير السن كبيرا للعائلة الممتدة ، وكان الأمر الناهى الذى يخط لأعضاء العائلة حياتهم وأدوراهم فى الحياة ، ويفض المنازعات بين أهل بيته وكذلك بين أعضاء قبيلته أو بين قبيلته وغيرها من القبائل .

٢ - فيما يتعلق باعلان الوفاة تمثل فى النقل مشافهة من بيت الى بيت .

٣ - يتولى أهل الميت بتحصل تكاليف جثة المتوفى ويتولى بعض المحسنين ذلك اذا لم يكن أهل الميت قادرين على ذلك .

٤ - يتم تجهيز الميت بدون مغالاة أو مبالغة بشراء الأقمشة الفاخرة الخاصة بالكفن بل يتميز بالبساطة وكما حدد الشرع ، كما لايوجد تمايز فى المقابر بين الفقراء والأغنياء .

٥ - بالنسبة لمدة الحداد على الميت سواء كان رجل أو امرأة فلا تزيد على ثلاثة أيام طبقا لأحكام الدين الحنيف وبالنسبة للزوجة فعليها أن تحد شرعا أربعة أشهر وعشرا .

٦ - الجميع يتقبل الخبر بوفاة أحد أفراد الأسرة برباطة جأش ودون اسراف فى الحزن أو الصراخ

أو العويل حيث تعود الحياة الى مجاريها بعد استمرار مراسم الحزن على الميت لمدة ثلاثة أيام . أما زيارة القبور فلا تحدث الا نادرا وفى غير أيام الأعياد وذلك للعظة والصدقة على روح الموتى وقراءة القرآن والترحم عليهم .

ب - المجتمع الحديث : -

١ - مع تقلص نمط التنظيم الاجتماعيالمرتكز على أساس العائلة الممتدة أو المركبة انحسرت وظائف كبير العائلة وانزوى وحيدا فى منزل ابنه فى انتظار الموت ، وأحنيانا يلاعب أحفاده ويساهم فى تربيتهم وتنشئتهم ويلقنهم الحكمة والشعر واجمالا اهتزت مكانة كبير السن نتيجة التغير الاجتماعى منذ اكتشاف البترول . وبالرغم من ذلك مازال يحظى بالاحترام ام بحكم سنه وحكمته وخبرته .

٢ - أما الآن فلأجهزة الاعلام دور كبير فى هذا سواء أكانت اذاعة أو تليفزيون وبخاصة الصحافة .

٣ - وتتولى سيارة الاسعاف فى بعض الأحيان نقل المتوفى بعد تغسيلة فى بيته حتى تسجيته فى القبر ويقوم بعملية الغسل متخصصون ومختصات من البلدية وتتكفل الدولة أحيانا بتحمل تكاليف تجهيز جثة المتوفى .

٤ - بالرغم من تيسر سبل العيش وارتفاع مستوى المعيشة لم يطرأ أى تغير فى هذه الناحية حيث لايعكس الكفن مثلا المكانة أو المنزلة أو المستوى المادى للمتوفى وأسرته .

٥ - يتبع نفس الشىء فيما يتعلق بالحداد على الميت . وبالالتزام بالشريعة الغراء .

٦ - وما يتعلق بخبر الوفاة وطريقة استقباله ، وملامح ومدة الحزن على المتوفى ،

كذلك الموقف بالنسبة لزيارة القبور لم تتغير هذه الملامح بالنسبة للمجتمع الحديث عن المجتمع القديم .

وقد علق الكاتب على ملاحظاته السابق عرض لمحات منها بقوله أنه يتضح من مظاهر الثبات والتغير فى عادات دورة الحياة (الميلاد - الزواج - الموت) . أن التغير الاجتماعى فى قبيلة المهاندة يتسم نسبيا بالبطء ، وقد أدى هذا الى أن يقتصير التغير على السطح دون أن ينفذ الى اللب والجوهر ، أى جوهر القيم والمعايير ذلك نتيجة للرواسب التقليدية التى مازالت تفرض سيطرتها الاجتماعية (فى إطار قبيلة المهاندة) على محصلة العرف السائد والعادات الاجتماعية التى توجه العلاقات الاجتماعية وتحكم البناء الاجتماعى .

المبحث الثانى

عـــادات وتقاليـــد البـــدو
النتائج والاستخلاصات

بعد أن تحدثنا عن أهم الدراسات السابقة وكذلك الدراسة الرائدة التى تركز علنيها دراستنا الحالية . سوف نتحدث عن الجانب الميدانى والذى اشتمل على وصف للعادات والتقاليد ومدى التغير الذى اعتراها فى بعض المناطق البدوية بالمملكة العربية السعودية وعوامل التغير سواء كانت مادية أو غير مادية .

ولقد تم جمع بيانات هذه الدراسة من خلال عينة من الأخباريين هم فى الحقيقة عدد من طلاب جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ومن بين طلاب كلية العلوم الاجتماعية وبخاصة قسم الاجتماع ممن يقطنون بعض المناطق البدوية . أو من أصل بدوى حيث ثبت أن هؤلاء الطلاب وفدوا من بدو مناطق عدة وهى : -

حفر الباطن - القويعية - السرداح - بيشة - طريف - غامد - وكذلك بنى تميم ولقد تجمع لدى الباحث بيانات ميدانية ترتبط بالعديد من مجالات الحياة اليومية بهذه المناطق البدوية وغيرها ، حيث تمكن الباحث من حصر أهم هذه المجالات والتى اشتملت على الآتى : -

١ - عادات وتقاليد الميلاد والوفاة .

٢ - عادات وتقاليد الخطبة والزواج .

٣ - عادات وتقاليد التعليم .

٤ - عادات وتقاليد العمل والاقتصاد .

٥ - عادات وتقاليد ترتبط بالرجل والمرأة .

٦ - عادات وتقاليد الترفيه والترويح .

٧ - عادات وتقاليد الدين والتدين .

٨ - عادات وتقاليد الثقافة والاتصال .

٩ - عادات وتقاليد حل المنازعات والثواب والعقاب .

١٠-عادات وتقاليد الكرم - الشجاعة - الأخذ بالثأر .

١١ - عادات وتقاليد الهجرة والترحال .

ولقد طلب من الأخباريين أن يدونوا العادات والتقاليد المرتبطة بالمجالات السابقة من حيث ماكان بالماضى - حيث يمكن الاستعانة بملاحظات ومعلومات كبار السن - وماهو معاصر يمكن مشاهدته وممارسته فى الوقت الحاضر ، مع الاشارة الى أسباب التغير وعوامله المختلفة .

ولقد تم جمع هذه البيانات خلال الفترة من شهر بيع ثان ١٤١٣هـ حتى شهر المحرم ١٤١٤ هجرى .

اولا : عادات وتقاليد الميلاد والوفاة : -

يفرح البدوى عندما يرزق بمولود (ذكر) حيث أن هذا المولود هو الذى يرفع اسمه بعد وفاته ، كذلك هو الذى يساعده فى أعماله كالرعى وغيره ، وهذا المولود الذى يجعل العائلة سلسلة متصلة لاتنقطع ، وعندما يولد المولود الذكر يستبشر الناس بمقدمه ويفرح أفراد قبيلته ، ويذهب والده بعد مرور عدم أيام فيذبح ذبيحتين ويدعو جماعته الى الوليمة . أما اذا كان المولود (أنثى) فيذبح الوالد ذبيحة واحدة . وعندما يبلغ المولود السابعة من عمره تقريبا يذهب مع والده ويساعده فى أعماله كالرعى واستخراج الماء من الآبار وغير ذلك من الأعمال التى يطلبها منه والده .

وفيما يرتبط بختان المولود الذكر فانه يتم حينما يبلغ المولود السنة تقريبا حيث يرسله والده الى الطبيب الشعبى للقبيلة فيقوم بختان المولود وبعدها يقوم الأهل باقامة الولائم ودعوة الأقارب لحضور هذه الوليمة ، واقامة بعض الاحتفالات والرقصات بهذه المناسبة . ويقدم بعض الأقارب الهدايا للمولود ولو الديه ، وهناك بعض الآباء الذين لايقدمون على ختان الأولاد الذكور فى هذه السن المبكرة وانما يؤخرون ذلك الى سن العاشرة تقريبا .

أما بالنسبة للوفاة فعندما يتوفى الانسان يحزن أهله وأقاربه ويجتمع الأقارب فى بيت المتوفى أو بيت والده ويقومون بتقديم العزاء لمدة ثلاثة أيام و قد تزيد ويدعون له بالدعاء .. عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، وعندما يتوفى الرجل ويكون له دور ومركز هام فى القبيلة كأن يكون أحد فرسانها فان القبيلة تحزن عليه حزنا شديدا لمدة طويلة ويذهب كثير من رجال القبيلة حيث يقومون بدفنه والدعاء له بالرحمة .

وفى الوقت الحاضر نلاحظ بالنسبة للميلاد فأن المولود غالبا مايولد بالمستشفى بعكس مولود البدوى قديما والذي يولد بالبيت ، ويفرح أهل المولود بالمولود فرحا شديدا ويقوم والده

بذبح ذبائح المولود ويجتمع عدد كبير منالأهل والأصدقاء على هذه الوليمة ، ثم يسمى المولود ، وما أن يبلغ الوليد ستة سنوات يذهب والده حيث يتلقى التعليم المناسب .

وفيما يتعلق بالفرحة الغامرة التى كانت تغمر أهل المولود الذكر خفت حدتها وأصبحت النظرة الخاصة الى المولود الذكر تتساوى مع النظرة الى المولود الأنثى .

وفيما يتعلق بختان الذكور فانه عادة يتم فى الوقت المعاصر فى المستشفى والمراكز الصحية وبأيدى أطباء متخصصين وفى سن مبكرة أيضا ، وفيما يتعلق بالاحتفالات التى كانت تقام من أجل المولود ويحضرها أفراد القبيلة جميعا ، فأصبحت اليوم تقام ولكن على مستوى الأسرة وبعض الأقارب فقط .

وبالنسبة للوفاة فى الوقت الحاضر يلاحظ أن غالبية الحالات تتوفى بالمستشفى حيث يتكفل بتغسيله وتكفينه ، ويصلى عليه فى بعض الأحيان فى المسجد ثم يأخذه أقاربه الى المقبرة حيث الدفن الشرعى ، ويشيعه الى مقبرته بعض ممن يطلبون الأجر ويدعون للمتوفى بالرحمة والمغفرة .

ثانيا : عادات وتقاليد الخطبة والزواج : -

فى الماضى اذا أراد الرجل أن يتزوج فانه كان يرسل رجال يخطبون له وكان هؤلاء الرجال ممن يثق بهم حيث يذهبون الى والد البنت فى مجلسه ويفتحون معه موضوع الخطبة ، أما اذا كان فى مجلسه أحد أو رجال آخرون فانهم يطلبون منه الخروج خارج مجلسهم ويحدثونه فى أمر الخطبة ، فيسألهم والد البنت عن الرجل وصفاته ويشترط أن يكون هذا الرجل كفء للزواج ويسأل بصفة خاصة عن دينه ،أخلاقه وشجاعته وعن أهله ، وهل هو قادر على الزواج أم لا ... الخ هذه الصفات التى يرغب والد البنت أن تتوفر فى زوج ابنته ، أما عن المهر فقد كان يسيرا جدا حيث يطلب والد البنت عادة قليل من الأبل والأغنام ويشترط على الزوج توفير متطلبات الزوجة وهو شىء قليلل اذا قورن بمتطلبات اليوم .

أما الزواج فيعقدون له ثم يقيمون مستلزمات الزواج من بناء بيت من الشعر ويأتون بقليل من الذبائح ثم يأتون بالزوجة ويضعونها فى البيت المخصص لها وبعد العشاء وانتهاء الفرح يدخلون الزوج على زوجته ويستمر الحفل لمدة ليلة واحدة فقط .

وفيما يتعلق بأمور الخطبة والزواج هناك ظاهرة كانت تسود فى الزمن الماضى وهى ظاهرة (التحجير) وهى أن البنت وهى صغيرة يحجرها ابن عمها فاذا كبرت وجاء أحد الناس

يخطبها فان الأب يسأل ابن عمها هل هو موافق على ان تتزوج أم لا ، فاذا وافق كان بها واذا لم يوافق لايزوجها والدها ويتزوجها ابن عمها ، وقد يتنازل ابن العم عن التحجير عندما تأتيه زيارة ، هذا مايتعلق بالخطبة والزواج فى الزمن الماضى أما فى الوقت الحاضر فأصبح الحال كالتالى : -

يذهب الرجل الذى يريد الخطبة ومعه والده ووالدته الى من يريد أن يخطب منهم ، ثم يقوم صاحب المنزل المضيف باقامة وليمة تكريما للضيوف اذا كانوا قادمين من منطقة بعيدة ، وبعد انتهاء الوليمة وذهاب المدعووين الى هذه الوليمة ، يبقى صاحب المنزل وهؤلاء الضيوف أهل الخطيب فيفتحون معه موضوع الخطبة فاذا كان موافقا على الزواج أبلغهم موافقته ثم يطلب منهم مهلة لمدة هو يحددها حيث يقوم الرجل (والد العروس) بجمع أفراد أسرته ويسألهم هل هم موافقون على هذا الرجل الذى تقدم اليه زوجا لابنته ، ثم يذهب ويسأل اناس آخرين عن دين الرجل وأخلاقه وهل هو قادر على الزواج فاذا انطبقت عليه الصفات التى رغبها والد البنت فى زوج ابنته أخبر أهله (أهل الخطيب) بالموافقة النهائية ثم يحدد المهر ويختلف هذا المهر من قبيلة لأخرى . فبعض القبائل يكون المهر عندهم يتراوح من ٥٠ - ١٥٠ ألف ريال من غير متطلبات الزوجة من ذهب وغيره والتى تصل الى ٥٠ ألف ريال أو يزيد ، وبعض القبائل لاتشترط مهرا كثيرا بل ترضى بالشىء اليسير ، كذلك الزوجة لاتطلب متطلبات كثيرة وترضى بالشىء القليل .

وفيما يتعلق بحفل الزواج فى الوقت الحاضر فيقوم الزوج باقامة حفل الزواج فى بيت شعر أو خيمة كبيرة أو قصر أفراح ومدة الفرح تستمر لمدة يومين أو يزيد بقليل وغالبا ما تكون أيام الزواج هى الخميس والجمعة ويقوم الزوج بجميع تكاليف حفل الزواج حيث يبدأ ببناء بيت الزواج ثم يضع أنوار الكهرباء على البيت ويستأجر الأثاث ويقوم الزوج بجميع الولائم من الأغنام والابل فيبلغ جميع تكاليف حفل الزواج مايقارب عشرين ألف ريال وهذه التكاليف الباهظة للزواج قد تكون سببا فى احجام الكثيرين من الشباب عن الاقدام عليه .

ثالثا : عادات وتقاليد التعليم : -

وعن التعليم فى البادية لم يكن هناك تعليم يذكر وهذا قد يعود الى انشغال البدو فى أعمالهم وعدم وجود مراكز للتعليم قريبة من سكناهم حيث أنهم غير مستقرين فى مكان واحد بل ينتقلون من مكان لآخر بحثا عن الماء والعشب ، وكان الطفل فى الماضى حينما يبلغ السابعة من عمره تقريبا فانه يتحمل مسئولية مساعدة الده فيرعى الحيوان وفى البحث عن

الماء وبقية الأعمال الأخرى ، وهذا لايتيح للطفل فرصة التعليم . أما فى القت الحاضر فانه - أى التعليم - فى ازدياد يوما بعد يوم حيث يلقى التعليم العناية الفائقة من الدولة الحديثة وحيث الاهتمام الخاص بالتوسع فى انشاء المدارس والمعاهد والجامعات فى أماكن عديدة وفى مختلف التخصصات ، وهذا جعل الناس يقبلون على التعليم بشتى ألوانه وتخصصاته ، ولا يقتصر التعليم فى الوقت الحاضر على الذكور بل تشاركهم الاناث فى التعليم حيث يخدم كل واحد بلاده فى مجالات متعددة .

هذا وقد تعددت وتنوعت أنواع التعليم المتاحة أمام انسان هذا العصر فى هذا البلد الأمين بصفة عامة وأمام ساكنى البدو بصفة خاصة حيث نجد على سبيل المثال الى جوار التعليم العام بشتى مراحله نجد التعليم الفنى والاعداد المهنى ونجد تعليم الكبار الذى يلعب دورا عظيما فى تثقيف وتأهيل كبار السن ، وهناك التعليم الخاص والذى يقدم خدماته لبعض الفئات ممن وقفت بعض المعوقات فى طريق استمرارهم فى التعليم كالصم أو فاقدى البصر (المكفوفين) أو المعوقين لأسباب أخرى .

رابعا : عادات وتقاليد العمل والاقتصاد : -

من الملاحظ أن الزراعة والرعى فى السابق هما المصدران الرئيسيان للدخل سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الفرد ، وكان مجال عمل الأسرة وأفرادها جميعا لايخرج عن هذين المجالين ، فالرعى فى البادية والزرعة فى الحضر هما أساس الاقتصاد فى البلاد ، وكان الشائع قيام الأهالى بحفر الآبار العادية واخراج الماء منها باسطة الحيوانات وتسمى (السوانى) وكذلك الاعتماد على الأمطار وتسمى هذه الطريقة (بالتبعيل) وكان الأفراد يعتمدون على أنفسهم فى حفر الآبار وذلك باجتماعهم وحفرها سويا بطريقة جماعية ويقومون (بطى) البئر وذلك بعمل سور داخلى بواسطة الحجارة لمنعها من الانهيار .

وكانت تستخدم هذه المياه فى سقيا الانسان والحيوان (الراعى) وكذلك فى الزراعة البدائية لبعض المحاصيل مثل النخيل والقمح والأعلاف المختلفه (البرسيم والذرة) . هذا ولقد كان المزارع ذو حظوة ومكانة اجتماعية عالية حيث كان الناس يرغبون في تزويج بناتهم من المزارعين وأبناء المزارعين .

هذا وقد اختفت فى الوقت الحاضر الآبار العادية واستبدلت بالآبار الارتوازية العميقة التى سدت حاجة الزرض الزراعية من المياه ، كما أقيمت الرشاشات المحورية للرى وكذلك المزارع المحمية ، استبدل الرعى بمشاريع تسمين الأغنام والدواجن والأبقار وما الى ذلك . وفيما

يتعلق بمكانة المزراع الاجتماعية التى كان يتمتع بها فى الماضى فقد اختفت نظرا لتنوع مصادر الدخل عند الناس وخلودهم للراحة .

واذا كانت الحرف السائدة فى الماضى هى الرعى والزراعة وعمل الأسرة كان منحصرا فى هاتين العمليتين فقد تغير الحال فى الوقت المعاصر حيث دخل الناس فى الوظائف الحكومية وفى العمل الحر والتجارة بمختلف أنواعها ، حيث ارتبط الكثير من الناس بالعمل فى الوظائف الحكومية سواء فى المنطقة التى تعيش فيها أو خارجها . لقد أدى هذا الى خروج الأهالى خارج منطقة سكناهم بحثا عن العمل والتجارة والوظائف الحكومية ، وأدى كذلك الى وفود أعداد أخرى الى المناطق الطاردة للوفاء بمستلزماتها ولسد حاجة هذا المجتمع فى الأعمال التى لايجيدها أهل المنطقة .

ولقد ارتبط بهذا التحول الاقتصادى تغير فى دور المرأة فى المجتمع حيث كان دورها فى الماضى ينصب الى جانب اشتراكها فى العمل مع باقى أفراد الأسرة سواء فى الرعى أو الزراعة والقيام بأعمال البيت وتربية الأطفال القيام ببعض الواجبات الأخرى مثل الطبخ والحياكة والغسيل وجلب المياه وأصبح الحال اليوم تخلى المرأة عن عمل الرعى أو الزراعة وجلب المياه الخاصة بالشرب والأعمال المنزلية حيث دخلت المياه الى المنازل واستقدمت الأسر الأيدى الأجنبية العاملة للزراعة والرعى وظهرت الخادمات للقيام بأعمال المنزل ، وهذا بالطبع أدى الى وجود وقت فراغ كبير لدى المرأة ، وشعور المرأة بهذا الفراغ نتج عنه بعض المشاكل التى وصلت الى حد الشعور بالاحباط والفشل فى آداء دورها الأسرى ودورها كامرأة تعانى معاناة داخلية شديدة .

هذا مع عدم اغفال الدور الذي تقوم به المرأة فى الأنشطة التعليمية المختلفة سواء كطالبة علم فى المستويات التعليمية المختلفة أو القيام بعمل التدريس بالمدارس والمعاهد العلمية .

ولقد انعكس المستوى الاقتصادى للبادية على نمط السكن والسكنى حيث كان المسكن فى الماضى بيت من الحجر والطين والسقف بالخشب والجريد والسعف ، وكان البعض يستخدم الخيام وبيوت (الشعر) ولم يكن معروفا لديهم البناء الشعبي أو المسلح ، وكان فرش أرض المنزل غالبا من الرمل وكانت أدوات المنزل فى الغالب عبارة عن أوان خشبية .

أما الأن فالمنازل والمساكن تبنى من المسلح والطوب الأسمنتى والخرسانات الاسمنتية كما ظهرت الثلل والعمائر الضخمة ، وظهر الفرش والأثاث المستورد والأبواب الحديدية والألومنيوم

هذا الى جانب بعض البنايات القليلة من الحجر المحلى أو من الطين من قبيل التذوق والاستمتاع بالماضى والحنين اليه ، أو من جانب المحافظة على التراث ذى الطابع الخاص الذى يميز البلاد عن غيرها من سائر المجتمعات .

خامسا : عادات وتقاليد تتعلق بالرجل والمرأة :-

من الطبيعى أن للرجل والمرأة دور فى العمل سواء فى الماضى أو فى الحاضر ففى الماضى كان الرجل يقوم برعاية الحيوان حيث يذهب فى الصباح الى المراعى ويعود فى المساء ، وكان يقوم كذلك بخدمة الحيوان حيث يوفر له الماء من الآبار مستخدما فى ذلك مايعرف عندهم فى الماضى (الدلو) وكانت تصنع من الجلد أو البلاستيك مربوط فيها حبل سميك يوضع على المحالة وهى آله خشبيه مدورة داخلها وتد وهذا الحبل السميك مربوط ببعض الحيوانات كالجمال أو الخيول أو الحمير وتقوم بسحب الدلو من الآبار ويستخدم الراعى الماء الجيد لحيواناته . وكذلك المحافظة على عددها وعدم ضياع أيا منها ، كما كان يقوم ببيع بعضها لشراء مستلزماته .

وكان دور المرأة يتلخص فى تربية الأولاد والمحافظة على بيتها وجلب الأخشاب لاستعمالها في الوقود وكذلك تصنيع الألبان والجبن وكذلك مساعدة الرجل فى الزراعة والحصاد ، وكانت المرأة تقوم بجمع السبلات ثم تجمع منها القمح وتصنع منه الدقيق ، كذلك كانت تقوم بتصنيع بيوت الشعر أو الخيام من شعر الماعز أو الضأن أو من وبر الابل ، كذلك كانت تقوم بصناعة غطاء من الصوف يحمى الأسرة من البرد القارص . واستخدام الصوف فى صناعة البسط للجلوس عليه .

وفى الوقت الحاضر اختلفت الأدوات فيقوم الرجل بدلا من سكنى الصحراء بالسكن فى المدن حيث يقوم بأعمال لاتتطلب مجهودا كبيرا اذا ما قورن بأعمال البدو ، فهو يعمل مدرسا أو موظفا فى احدى الوظائف الحكومية أو فى احدى المؤسسات ، أو يعمل أعمالا حرة أو بالتجارة ، حيث يحصل من وراء هذه الأعمال على الكثير من ا لنقود التى تؤمن له مسكنا وتوفر له المأكل والملبس والمشرب والرعاية الصحية وغير ذلك من متطلبات الأسرة ويسعى جاهدا لتربية أولاده تربية صالحة ويعلمهم حتى يكونوا مواطنين صالحين .

وبالنسبة للمرأة فى الوقت الحاضر فأنها تقوم الى جانب رعاية بيتها بتربية أولادها ، ويختلف النساء فمنهن غير متعلمات ويقمن بتربية الأولاد والأعمال المنزلية التقليدية ، أما المتعلمات فيقمن بالاضافة الى أعمالهن المنزلية وتربية الأولاد بأعمال خارج المنزل فمنهن من

تعمل فى التدريس أو فى الطب أو الصيدلة أو غير ذلك من الأعمال وبالتالى يصبح للمرأة المعاصرة دوران داخل وخارج الأسرة .

سادساً : عادات وتقاليد الترفيه والترويح : -

ان البدوى فى الماضى كانت لديه الفرصة والامكانية لقضاء وقت الفراغ فى مزاولة بعض الألعاب كالرماية ، حيث كان البدو يصنعون علامات يهدفون عليها حيث التنافس الشريف والجوائز التى يتفقون عليها ، كذلك ممارسة رياضة السباحة فى الأودية أو الأنهار القريبة منهم وحيث يعلمون أبناءهم هذه الألعاب من أجل تحقيق هدفين الأول وهو الترفيه والترويح عن النفس ، أما الثانى وهو الاتقان والمهارة فى هذه الألعاب من أجل حماية أنفسهم وعشيرتهم من أى اعتداء خارجى ، وهذا يتفق مع ما وصى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمر بتعليم الأولاد السباحة والرماية وركوب الخيل حيث قال صلى الله عليه وسلم " علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل " . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الأمور التى ترتبط بالترفيه والترويح وبالاستفادة بالوقت وعدم ضياعه فيما لاطائل وراءه قيام البدوى وحرصه على الصيد كصيد الغزلان والأرانب بواسطة كلاب الصيد وكذلك اصطياد الحبارى - وهو نوع من الطيور - بواسطة الطير الحر .

وفى الوقت الحاضر أصبح هناك الكثير من الألعاب التى لم تكن موجودة فى السابق مثل كرة القدم والسلة والطائرة وتنس الطاولة .. الخ كذلك هناك تمسك بالألعاب التى كانت تمارس فى الماضى كالرماية والسباحة والصيد الجرى وغيرها يقضى فيها ساكنى القبائل البدوية وقت فراغهم من أجل الترويح عن أنفسهم .

سابعا : عادات وتقاليد ترتبط بالدين والتدين : -

يلاحظ تمسيك نكبار السن بالدين تمسكا شديدا حيث يؤدون الصلاة فى أوقاتها جماعة وكذلك يصومون رمضان ويؤدون زكاة أموالهم ويحجون بيت الله الحرام حيث كان الحج فى السابق بالنسبة لهم شاق جدا لعدم توفر وسائل النقل الحديثة ، وكانوا يستخدمون الخيول والجمال لتنقلهم الى مكة المكرمة حيث يؤدون مناسك الحج ، وكانوا يقضون وقتا طويلا فى الذهاب الى مكة قد يصل الى شهر أو يزيد وفى العودة ذلك .

وقد لوحظ فى الوقت الحاضر صحوة اسلامية كبيرة حيث يرى الكثير من الشباب الملتزم بأمور دينه الحنيف حيث يؤدون الصلاة فى المساجد وفى جماعات ، ونرى كذلك صغار السن

يصومون رمضان ، وهناك التزام من الغالبية العظمى بأداء الزكاة وكذلك السعى نحو آداء فريضة الحج ويرى أفواج كبيرة من الناس يذهبون كل عام الى البيت الحرام ، حيث يزدحم بهم الحرم الشريف ، وأصبح الوصول الى مكة المكرمة أمر سهل وهين حيث توافرت خطوط السفر سواء الجوى أو البرى أو حتى البحرى بالاضافة الى ذلك تلقى الدروس الدينية بالمساجد وبين الصلوات حيث يقوم العلماء والمفكرون الشرعيون بالقائها على الشباب وعلى الصغار بغية توعيتهم التوعية الدينية المناسبة لهم . والغاية بالطبيع تبصيرهم بأمور الدين الحنيف .

ثامنا : عادات وتقاليد ترتبط بالثقافة وبالضبط والاجتماعى : -

فى القديم كانت ثقافة البدوى محدودة وتستمد من كبار السن ومن سماع القصص والحكايات التى يروُنها عن آبائهم وأجدادهم ، كذلك سماع الحكم والأمثال التى يضربها البدو ، وفيما يتعلق بالضبط الاجتماعى فكان متثلا فى مجازاة العمل بمثله فان كان خيرا فيجزى فاعله بخير وان كان العكس مثل القتل فيجزى بالقتل . ومن أمثلة ذلك أنه قد يقع البدوى فى موقف ضيق أو موقف احراج فيساعده أحد الأشخاص حتى يعالج هذا الموقف أو يخرج منه سالما فيقوم البدوى برد الجميل جزاء عمله حتى يصل الأمر الى حد أن يزوجه ابنته عرفانا بذلك الجميل ، ويعتبر البدوى هذا الجميل دينا فى عنقه ، وتستمد فى الغالب نظم الثواب والعقاب عند البدو منالعادات والتقاليد والأعراف ، حيث أن البدوى اذا ارتكب خطأ فانه يخضع للعقاب الذى تفرضه القبيلة أو العشيرة ، ولا يخرج عن نظام القبيلة أو العشيرة ومن يخرج يعتبر شخصا منبوذاً من المجتمع ولاتصبح له قيمة بين الناس .

أما الثقافة فى الوقت الحاضر فقد تطور مفهومها كثيرا وذلك بسبب التطور الذى ساد أكثر القبائل البدوية وتعددت مصادرها وهى المجتمع الحضرى ووسائل الاعلام المختلفة وانتشار المدارس ومعاهد العلم التى يلتحق بها الصغار والكبار . وبالتالى حدث تطور فى نظم الضبط الاجتماعى حيث أصبح فى الوقت الحاضر نظام الثواب والعقاب مرتبطا الى حد كبير بالأجهزة الأمنية ، فاذا أخطأ الانسان فانه يعاقب بالعقاب الرسمى الذى يستحقه سواء بالسيجن أو الجلد أو القتل فاذا جاء بفعل حسن فأنه يثاب يعليه سواء بزيادة راتبه أو رفع مرتبته فى العمل أو حتى بالجزاء المعنوى والقبول والاستحسان من قبل المجتمع وبذلك يصبح محبوبا عند أصحابه ورؤسائه فى العمل .

تاسعا : عادات وتقاليد ترتبط بحل المنازعات والمشكلات : -

فى الماضى كان البدو يقومون بحل مشكلاتهم ومنازعاتهم عن طريق اختيارهم لمن يرضون حكما أو قاضيا بينهم ومثال ذلك عندما ترحل احدي القبائل من منازلها الأصلية بسبب قلة الماء والعشب الى منطقة أخرى يتوفر فيها الماء والعشب فقد تكون هناك قبيلة أخرى قد سبقت القبيلة الزولى الى ذلك المكان فتجتمع هناك القبيلتان فى مكان واحد وتنشأ بينهما المنازعات والمشاكل على الماء والمرعى فيقوم شيوخ القبيلتين بالتجمع فى بيت شييخ القبيلة الأولى وشيخ القبيلة الثانية وقد يشترك معهما شيوخ من قبائل أخرى للتوسط فى حل النزاع حيث يقومون بتنصيب أحد كبار السن منهم والموثوق بدينه وعدالته وصدقة ويجعلونه قاضيا بينهم ،ويطلب هذا القاضى من كل قبيلة ان ترسل مجموعة من الرجال يمثلونها ثم تجلس المجموعتان أمام هذا القاضى ويدلى كل منهم بحجته ثم يقضى بينهم القاضى بالعدل كأن يطلب من التى جاءت متأخرة أن ترحل وينفذ الجميع حكم القاضى ويرضون به وقد يحدث بين القبيلتين نزاع أو عراك فتأسر القبيلة أحد الأشخاص من القبيلة الأخرى ، فتقوم القبيلة الثانية وتأسر شخصا من القبيلة الأولى وبعد ذلك يكون الحكم بتبادل الأسرى بينهم .

أما حل المشكلات والمنازعات فى الوقت الحاضر فهناك جهاز الشرطة الذى يقوم بالتحقيق بين المتنازعين ثم احالتهم الى المحكمة الشرعية التى تحكم على الجانى حسب كل قضية أما القتل أو السجن أو الجلد أو قطع الأيدى وغير ذلك من الأحكام ، حيث يذهب الجانى وينفذ به الحكم أمام أعين الجميع ليكون عقابه رادعا لغيره وحيث يكون الأمن والاستقرار سائداً .

عاشرا : عادات وتقاليد ترتبط بالكرم : -

الكرم من الأخلاق التى طبع الله أهل البادية عليها وقد وافقهم الاسلام على ذلك بل أيدهم ومدحهم به . والكريم محبوب بين أهل البادية ممدوح بكرمه ، وليس معنى الكرم مقصوداً على مايقدم للضيوف اذا نزلوا بأهل البادية من خيرات واقامة وخلافه وانما يشمل ذلك فك أسر الأسير والانفاق على الفقراء وحب الضيف والترحيب به ، والبدوى الآن لازال متمسكا بأخلاق الكرم وحينما تذهب الى بيوت البادية تشاهد ذلك بنفسك .

وعلى العكس من الكريم تجد البخيل فهو مذموم عند أهل البادية غير مرغوب فيه ولافى خلقه ، وتجد ذلك فى الاسعار الكثيرة عند البدو التى تمدح الكريم وتذم البخيل ، ومن أمثلة ماقيل حثا للكرم وحسن الضيافة : -

أوقد فان الليل ليل مريد　　والريح ياغلام ريح حسر

عسى يرى نارك من يمر　　ان جلبت ضيفا فأنت حر

وعندما يستقبل البدوى ضيفا فيستقبله بالترحيب وسماحة الوجه والتحية الحسنة (ياالله حيه ، يامرحبا ، ياهلا ..) ولا يمكن أن يخرج الضيف من البيت حتى يقد له المضيف واجبه ، وليس هذا قاصرا على الضيف فحسب بل على كل قادمالى البيت أيا كان ، ثم يقدم له الدلة والشاهى ثم يقدم له أحسن مايستطيع من المنطحات .(الذبائح من الضأن) واذا انتهت الضيافة تناوله أهل الحى بالعزيمة ، واذا انتهى وأراد المسير الى أهله خرج معه رب البيت الى أن يوصله الى خارج البيت والمكان الذى يريد ، وفى الوقت الحاضير نجد الكرم كذلك والضيافة وان اختلف مايقدم للضيوف نظرا للخيرات التى أنعم الله بها على الانسان البدوى المعاصر وهناك بعض الآداب المرتبطة بالموائد لازالت تلاحظ حتى الآن منها : -

١ - ان البدوى لايتقدم الى المائدة ما لم يدعه صاحب المنزل وتوضع أمامه المناسف مليئة تجنبا لمقاومة الضيف ويقدم الماء كذلك فى أماكنهم .

٢ - الضيوف ينهضون دفعة واحدة فاذا انتهى أحد من الأكل فعليه أن يتشاغل بما أمامه من الطعام متظاهراً بأنه لايزال مستمرا فى الأكل حتى يتم الجميع أكلهم وحينئذ ينهض الجميع دفع واحدة .

٣ - تأخير العشاء حتى لايفوتهم أحد من الضيوف .

٤ - مقابلة الضيوف بالبشاشة والترحيب والقيام بواجب الضيافة وأول مايبدأون به ايقاد النار واحضار القهوة واشعال النار من أجل أن يراها الضيوف من مسافات بعيدة .

٥ - عندما يغادر الضيوف منزل المضيف يبقى الضيف فى حماية المضيف ثلاثة أيام .

وفيما يتعلق بتقديم القهوة بصفة خاصة لأنها علامة مميزة من علامات البدو يشترطون أن يمسك من يقدمها الدلة باليد اليسرى والفنجان باليد اليمنى ثم يبدأ فى صب القهوة للضيف وغالبا مايدأ بالرجال كبارالسن احتراما وتقديراً .

حادى عشر : عادات وتقاليد ترتبط بالشجاعة والاقدام :

الشجاعة والاقدام من الصفات التى يتصف بها البدو منذ قديم الزمان ، حيث يحرص البدوى على تعليم أولاده الأشياء التى تصون شرفهم وتمكنهم من الدفاع عن الأرض العرض وذلك منذ الصغر فيعلمون أولادهم ركوب الخيل والابل حتى يشب الولد منذ الصغر فارسا

مقداما ، ويعلم البدو أولادهم حمل السيف والضرب به يمنة ويسرة وأماما وخلفا وكذلك السرعة حتى يحمى نفسه من العدو ، كذلك يتعلم استعمال الرمح والشلفة - وهى نوع من السلاح - والمبارزة بالسيف للتعود على ملاقاة العدو ، كذلك بتدرب على استخدام السهام ومن خلال هذا التدريب والاعداد يتكون للقبيلة جيش قوى قادر على مجابهة الأعداء وحماية القبيلة من الغزو وحماية مصالحها والأراضى التى تقطنها .

وفى الوقت الحاضر تبقى الشجاعة والاقدام صفات حميدة يمتاز بها الانسان المسلم سواء كان بدويا أو غير بدوى لحماية نفسه ودينه ووطنه من الأعداء الذين يريدون قهر الاسلام المسلمين ويريدون اغتصاب أراضى المسلمين والسيطرة عليها ، أما عن الآلات المستخدمة فى الحروب حديثا فقد تطورت بلا شك وتنوعت وتعددت وتقدمت بصورة مخيفة ومنها الطائرات والدبابات والغواصات والصواريخ واستخدم الكمبيوتر فى توجيه الأسلحة وفى استخدامها بصورة لم يسبق لها مثيل بحيث أصبحت هذه الأجهزة والأسلحة تحقق الهدف فى سهولة ويسر وفى أقصر وقت ممكن .

ثانى عشر : عادات تقاليد الثار : -

لقد كان الأخذ بالثأر من الصفات المنتشرة عند البدو قديما فعندما يعتدى أحد الأشخاص على الآخر يبقى فى قلب الآخر الحقد والبغض للشخص المعتدى ولايرضى المعتدى عليه بشىء الا أن يأخذ بثأره ولا يتنازل عن حقه فى الثأر ولو استمر على الشحناء والبغضاء أعوام وأعوام ، وفى نفس الوقت كان هناك بعض الأشخاص يتنازل عن ثأره عندما يقوم بزيارته بعض الشيوخ والكبار من ذوى المكانة والمهابة فى القبائل فيتنازل أحتراما لهؤلاء الشيوخ ولمنزلتهم بين القبائل ولايرضى أن يرجع هؤلاء وهم غير راضين عنه .

وفى الوقت الحاضر اختلفت الأوضاع حيث يوكل الشخص صاحب الثأر المعتدى عليه يوكل الدولة ممثلة فى الشرطة والقانون والشرع حيث توجد المحاكم الشرعية التى تفصل فى المنازعات وتعطى الحقوق لأصحابها غير منقوصة ، وهذه الأحكام الشرعية يرضى بها الجميع لا يمكنهم الخروج عليها لأنها ليسيت من صنع البشر وانما منزلة من الله سبحانه وتعالى وبالتالى يرضخ الجميع للحكم الذى يصدر ويلتزم بالتطبيق لأن هذا يضمن للمجتمع استقراره ويضمن الأمن والعدل للجميع ،

ثالث عشر : عادات وتقاليد الهجرة والارتحال : -

يشكل الترحال سعيا وراء مصادر القوت السمة الأساسية للحياة فى المجتمعات البدوية حيث يرتحل البدو بقطعانهم من الابل أو الغنم أو القر والخيل وغيرها بحثا عن الماء والعشب وهو عصب الحياة ، كما يهاجر البدو من المنطقة التى يصيبها الجفاف أو يتفشى فيها مرض يهدد حياتهم أو حياة قطعانهم وبالتالى يهاجرون الى مناطق أخرى تخلو من هذه الأمراض ويستقروا هناك .

أما فى الوقت الحاضر فنرى أن أسباب الترحال والهجرة قد اختلفت عن الماضى حيث أن فى السابق كان سبب الترحال والهجرة هو البحث عن الماء والعشب أو الهرب من مرض متفش يهدد حياة الانسان وحياة قطعانه ، أما اليوم فنرى الانسان ينتقل من منطقة الى أخرى من مناطق المملكة وقد يهاجر اليها هجرة داخلية دائمة أو مؤقتة بسبب ظروف العمل حيث تجبره هذه الظروف على ذلك ، أو بحثا على نوعية معينة من الأعمال غير متوفرة بمنطقة معيشته الأساسية ، أو ينتقل الى منطقة تتوافر فيها الخدمات المختلفة ، أو ينتقل الى منطقة أخرى لعدم توفر نوع التعليم العالى فيها فى منطقة اقامته ، أو غير متوافر أنواع التعليم التى تناسب سن أولاده ، وقد ينتقل كذلك من أجل الحصول على رعاية صحية ذات مستوى غير متوافر بمنطقة سكناه الأصلية .

استخلاصات الدراسة : -

بنظرة فاحصة الى مادونه الاخباريون السعوديون الذين هم أصلا من مناطق بدوية أو ممن يعيشون حتى الأن بمناطق وقبائل بدوية ، أو بالتحليل الدقيق لما أدلى به كبار السن الذين التقى معهم الباحث وسواء هؤلاء أو هؤلاء فهم من المنتسبين الى جامعة الامام فالفئة الأولى من طلابها والفئة الثانيية من الموظفين بها . يقول يمكن أن نستخلص الحقائق التالية والمرتبطة بمدى ثبات أو تغير عادات وتقاليد البدو فى المجالات التى أشرنا اليها سلفا : -

أولا : أثر واضح للحضرية أدى الى تغير فى العادات والتقاليد سواء المرتبطة بالميلاد والنشأة أو الوفاة ، حتى نجد المستشفى تحل محل (الداية) فى عملية الولادة ، وتحل محل الشيوخ أو ذوى الخبرة أو الأطباء الشعبيين سواء فى ختان الذكور أو فى تكفين وتغسيل المتوفى . وهذا بالطبيع يرجع الى توافر المستشفيات والمراكز الصحية ومابها من أطباء وأخصائيين .

ثانيا : أثر واضح وعظيم للرقى المادى والاقتصادى يتضح في المغالاة في المهور وفى أعداد مستلزمات وأدوات منزل النزوجية وكذلك فى الاقبال والبذخ المتمثل فى مراسم الزواج والاعلان هنه والاحتفال به ، أو فى الإقبال على شراء الذهب والمجوهارات وتقديمه كمهر أو شبكة والتباهى والتفاخر والتسابق فيما بين العائلات فيما يتعلق بهذا المظهر وهذه التقاليد المرتبطة بالخطبة والزواج .

مع أثر بالغ فى العملية التعليمة وانتشارها وخاصة تعليم الاناث فى مسألة حرية الاختيار للزوج المناسب ، وعدم تفشى ظاهرة (الحجر) كما كانت فى المناطق البدوية والتمسك الشديد بها قديما ، كذلك التحول فى رسم سياسة ومسئوليات الزواج والمشاركة بين الرجل والمرأة في تحمل تبعاتا ، خاصة فى المنزل الذي تخرج ربته للعمل جنبا الى جنب مع الرجل فى مجالات عديدة كالتعليم والتمريض والطب والعلوم وغيرها .

ثالثا : أثر واضح لاكتشاف البترول وما ارتبط به من أعمال اقتصادية كالبحث والتنقيب أو اقامة المصانع والتشييد أو الاتجار به والنقل حيث انقرضت الكثير من الأعمال التى كان البدوى يقوم بها مثل البحث عن الماء والتنقيب عنه عن آباره وأماكنه ، وكذلك البحث عن العشب من أجل غذاء الحيوان ومن أجل المرعى حيث حلت الزراعة المتقدمة محل الزراعة التقليدية وحلت التجارة بشتى ألوانها محل الرعى والرعاة الذين تحولوا الى عمال وموظفين بالمصانع المتعددة التى أنشئت فى شتى أرجاء المملكة ومن الواضح كذلك هجرة البدوى الى الحضر (المدينة) من أجل التعليم أو العمل والتوظيف الحكومى ، وبالتالى احتاجت المناطق البدوية الى عمال يعملون بالحرف والأعمال التى افتقدت الأيدى العاملة ، واحتاج البدو الى التوطين الذى رعته المملكة ونظمته وفق خطط عملية اجتماعية واقتصادية وسياسية .

ومن الأمور الملفتة للنظر والتى ارتبطت بخروج المرأة من أجل التعليم ثم من أجل العمل والتوظيف ظاهرة استقدام الخادمات الأجنبيات وما استتبع ذلك من آثار على اللغة العربية لدى الأطفال وكذلك على قيم ومثل هؤلاء الأطفال ومما يستلزم اعادة النظر والحد من خطورة هذه الظاهرة التى استلفتت انتباه الباحثين فقاموا باجراء العديد من البحوث التى استهدفت العلاج الجذرى والتخلص من الآثار السلبية لهذه الظاهرة .

رابعـا : من الملاحظ تمسك البدوى بأنشطة قديمة ومع ذلك لايرفض الأنشطة الحديثة وهى أنشطة الترفيه والترويح وشغل وقت الفراغ فهو الى جانب تمسكه بتعليم أولاده وخاصة الذكور الصيد والرمى والسباحة وكذلك الجرى وركوب الخيل ، نجد اقبالا رهيبا على ممارسة أنشطة كرة القدم وكرة السلة والطائرة وتنس الطاولة والتنس الأرضى وغيرها فكل هذه رياضات جديرة بأن ترعى من قبل البدوى وغير البدوى لما لها من آثار طيبة اذا كانت لمجرد الهواية وشغل وقت الفراغ فهى تسهم فيبناء الجسم وفى الصحة وفى سلامة البنيان وسلامة البدن والخلق فينفس الوقت .

خامساً : يلاحظ كذلك أن هناك تغيراً جوهريا فيما يتعلق بنظم الضبطط الاجتماعى وحل المشكلات والمنازعات حيث حلت الأجهزة الادارية الحكومية على سبيل المثال الشرطة والقانون - محل كبار السن والشيوخ أو زعماء القبائل أو ممن لهم المكانة والكلمة والاحترام الدينى أو الثقافى أو المجتمعى وكذلك حلت الجزاءات المادية والجسدية والمعنوية وتوقيع العقوبات المنصوص عليها من قبل القانون محل الجزاءات والعقوبات العرفية أو المعنوية .

سادسا : من الأمور التى أجمع عليها الأخباريون وكبار السن والتى لمسها الباحث بنفسه من خلال معايشة المجتمع البدوى والبدويين ثبات واستمرار جملة عادات وممارسات وتقاليد ترتبط بنواحى تعتبر من صميم تكوين وخصائص المجتمع البدوى حيث لم يؤثر فيها ما يرتبط بالممارسات الدينية للشعائر المتنوعة سواء المرتبطة بالعبادات أو المرتبطة بالمعاملات ، فلا يزال البدوى متمسك بقيم الدين ويحرص على الصلاة فى جماعة ويحرص على آداء الزكاة وكذلك يسعى الى الحج وآداءه ، ويحرض أبناءه ويحفزهم على التمسك بهذه العبادات وكذلك الصيام وله مكانة ومنزلة عالية وتقديس بين البدو سواء المقيمين منهم بالصحراء أو بالمدن ، كذلك اتسامهم بالكرم الى حد الاسراف أحيانا وكذلك الشجاعة والاقدام والتمسك بالشرف والعفة والتواضع والاباء والشمم ، وهذه أمور أصيلة لم تغيرها الحضرية بل يمكن القول بأنها زاد التمسك بها والتعبير عنها .

سابعا : تعددت زسباب الهجرة وتنوعت فبعد أن كانت فى الماضى بهدف البحث عن الماء والكلاء ، وهربا من الجفاف أو الأمراض المتفشية التى كانت تصيب الانسان والحيوان ، أصبحت الأسباب اليوم متمثلة فى البحث عن عمل جديد يدر دخلا أفضل

أو من أجل التعليم وخاصة التعليم العالى الذى قد لايوجد بمنطقة الاقامة أو البحث عن رعاية صحية أوفر أو نوع من العلاج لا يتوفر بمنطقة الاقامة . ولا شك أن التقدم الاقتصادى والمادى وارتفاع مستوى المعيشة وانتشار التعليم وتزايد قيمته بين أهالى المملكة من الأسباب التى أدت الى تعدد وتنوع وتغير أسباب الهجرة خاصة من البدو الى الحضر أو الى المدينة ومن المناطق المتطرفة الى العاصمة أو المدن الكبرى .

الخلاصة اذاً حدوث تغير جذرى فى العديد من العادات والتقاليد المرتبطة بالميلاد والوفاة ، والخطبة والزواج ، والتعليم والعمل ،.ودور الرجل والمرأة ، والأقتصاد والترويح وشغل وقت الفراغ ، والثقافة والاتصال وكذلك نظم الضبط الاجتماعى وأجهزته ، أما الثبات فكان ولايزال فى كل مايتصل بالدين والتدين ، والكرم والشجاعة ، والشرف والدفاع عن النفس وكل ما يتصل بالأصالة والأصل البدوى المتميز .

مصادر و مراجع الدراسة :

١ - غريب سيد أحمد ، السيد عبد العاطى السيد : علم الاجتماع الريفى والحضرى . الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨م .

٢ - فاروق محمد العادلى : الاتجاهات المعاصرة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية - بحث تحليلى نقدى - القاهرة . المجلة الاجتماعية القومية . المجلد العاشر . العدد الثانى . مايو ١٩٧٣م .

٣ - صلاح الفوال : دراسة علم الاجتماع البدوى . القاهرة . مكتبة غريب ١٩٨٣م.

(4) Berger, Monroe" The Arab world : Doub leday co. New York. 1964.

٥ - فاروق محمد العادلى : علم الاجتماع - أسس نظرية وتطبيقات عملية - القاهرة - دار الكتاب الجامعى ١٩٨٢م.

٦ - عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم - دراسة نفسية - الكويت سلسلة كتب عالم المعرفة - العدد ١٦٠ - ابريل ١٩٩٢م.

٧ - مصطفى سويف : الحضارة والشخصية - القاهرة - المجلة الاجتماعية القومية - الملجد ٢٢ - العدد ٢ - ١٩٨٥م .

(8) Fuad Baali " 11m Al - u MRAN and Soiciolgy" A comparative study " Kuwait- Kuwait University. Annals of the faculty of Arts. Vo. V 11.1986 .

٩ - سيد عويس : قراءة فى موسوعة المجتمع المصرى - القاهرة - مطابع روز اليوسف . ١٩٨٨م .

١٠ - جمال مجدى حسنين : دراسات اجتماعية - القاهرة - دار الحكيم للطباعة والنشر - ١٩٩٢م.

(11) " Rokeeh, M-" Bekiefs, Attituds and Values : Atheory of organization and chang. " San franci sco. Jossey- Bass pub.. 1976.

١٢- محمد عبده محجوب : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية . الرياض - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - كلية العلوم الاجتماعية ، ١٩٨١م.

(13) Bierstedt, R " The Social order : As Introduction to sociology". Magra-whi ll. 1963.

١٤ - زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهة العصر ، بيروت ، دار الشروق ، ط ٤ ١٩٨٩

(15) paul B. Horttom- chester Hunt " Sociology " 2nd. ed. Mc Grawhill Book co-1968.

١٦ - عبد الله الخريجى : الضبط الاجتماعى . جدة - رامصان - ط ٢ ١٩٨٢م.

١٧ - عبد الباسط محمد حسن : علم الاجتماع ، الكتاب الأول - المدخل - القاهرة - مكتبة غريب - ط٢ - ١٩٨٢م .

١٨- أنظر كلا من :

A- Cohenp- " Modern Social Theory" Heine mann- London 1973. chaps7, 8

B - Rocher, G, A. " General Introduction to Sociology : Atheoretica Pespec-tive " Mc Millam of canada 1974.

١٩ - بوتومور : الصفوة والمجتمع - دراسة فى علم الاجتماع السياسى . ترجمة د. محمد الجوهرى وآخرون - القاهرة - دار المعارف - ط ٢ - ١٩٧٨م.

(20) Evans pritchard " Kinship and Marriage the Nuer " oxford- 1951.

٢١ - قام ايفانز برتشارد باجراء هذه الدراسة على قبائل النوير فى فترات متقطعة ما بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٦م حيث قدر عدد سكان هذه القبائل آنذاك بحوالى مائتى ألف نسمة .

٢٢- سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية - الاسكندرية - المكتب الجامعى الحديث - ١٩٩٠م.